الرّد

على كتاب

(أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، للقفاري)

الدكتور عبدالقادر عبدالصمد

دار الوحدة
الاسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

الــرّد

على كتاب

«أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية» للقفاري

تأليف:
الدكتور عبدالقادر عبدالصمد

دارالوحدة الإسلامية
بيروت

دارالوحدة الإسلامية

المؤلّف عبدالقادر عبدالصمد
الطبعة الأولى
مطبعة التوحيد
سنة ١٤٢٢ هـ. ق ـ ٢٠٠٢م

كلمة الناشر:

ـ في مواجهة الناعق بالفرقة و الإختلاف ـ

أيّها القارئ الكريم:

كُنّا نودّ أن يكون الجُهد الذي بُذل و الوقت الذي استُغرق في إنجاز هذا البحث قد أنفقا في بحث واحدة من المسائل الإعتقادية أو الفقهيّة التي لطوائف المسلمين نظر واحد أو متقارب فيها، لتوضيحها و تجلية أبعادها و التأكيد عليها، من أجل لفت نظر و انتباه أبناء الإسلام إلىٰ الأرضيّة المشتركة الواسعة بينهم علىٰ صعيدي الإعتقاد و الفقه و الأصعدة الأخرىٰ.

أو أنّ هذا الجهد و هذا الوقت كانا قد أُنفقا في بحث واحدة من المسائل الخلافيّة، في ضوء العرض الشامل لأدلّة جميع الطوائف الإسلاميّة فيها، و مناقشة هذه الأدلّة بموضوعيّة و دقّة علميّة و عدم انحياز مسبَّق لرأي من الآراء، حتّى يطّلع المسلمون على مناشيء و أبعاد و حقائق قضاياهم التي اختلفت آراؤهم فيها، و يتعوّدوا على أجواء المناقشة العلميّة، و المنهج الموضوعي، و الإنفتاح على الرأي الآخر برحابة صدر و إقبال، إذ الأصل في المسلم أن يكون ابن الدليل و الحجّة و البرهان، لا ابن الرفض المسبّق، و التقوقع، و التعصّب الأعمىٰ و عدم الإنفتاح.

و الصفّ الإسلاميّ الواحد المرصوص الكيان بحاجة فعلاً إلىٰ بحث

هذين النوعين من المسائل، لأنّ كُلاًّ منهما ـ في نظرنا ـ في ضوء الشرائط الصحيحة ذو أثر إيجابيّ في ترسيخ دعائم وحدة هذا الصفّ المقدّس و رصِّ كيانه.

لكنّنا مع الأسف ـ في الوقت الذي تتعاظم حاجة هذه الأمّة الإسلاميّة إلى من يجمع شملها، و يوحّد كلمتها، و يوثّق فيها عُرىٰ المحبّة و الألفة و التعاطف، و يوجّه أنظارها إلى أعدائها الحقيقيين ـ نشاهد بين فترة و أخرىٰ من ينبعث مدفوعاً من (قرن الشيطان)، ناعقاً بالخلاف و الإختلاف، لإثارة دواعي الرّيبة و الإفتراق، مُصرّاً على التعامي عن الأرضيّة المشتركة الواسعة للوحدة الإسلاميّة!

و من سلسلة إصدارات (قرن الشيطان).. ما نعق به ناصر القفاريّ في كتابه (أصول مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية ـ عرض و نقد).

و حيث لابدّ لردّ كلّ ناعق بفرقة و بباطل... من منادٍ بالحقّ و المحبّة و الوحدة.. كان هذا الكتاب المختصر (مدخلاً) لردّ تفصيليّ يعقبه إن شاء الله تعالى.

و دار الوحدة الإسلاميّة ـ و هى تقوم بنشر هذا المدخل و تشكر الله على هذه النعمة ـ لاتدّعي لنفسها حقّ نشره، بل تدعو كلّ مسلمٍ غيور علىٰ دينه و على الحقّ و الحقيقة، في وسعه و مقدوره المساهمة في توسيع دائرة نشره من خلال أيّة وسيلة من وسائل النشر و الإتصال، أن لايألو جهداً في القيام بواجبه في هذا الإطار، من أجل كشف الغطاء عن مُحيّا الحقّ الجميل الوضّاء، و لأجل إماطة اللثام عن قبح وجه الباطل الدميم المُظلم، و عن نُكر و بشاعة طنين «مكبّرات صوت الشيطان».

و آخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين.

دار الوحدة الإسلامية

المدخل

الحمدُ لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره و دليلاً على نعمه و آلائه، و الحمدُ لله على هدايته إيّانا إلى صراطه المستقيم باتباع خاتم المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله، و التمسك بما أوصى صلى الله عليه وآله الأمّة أن تتمسّك به: الثقلين، كتاب الله و عترته أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

ثمّ الصلاة و السلام على أشرف الخلائق أجمعين محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله و على آله الغرّ الميامين و صحبه المنتجبين.

و بعدُ:

فإنّ المتبتع لتأريخ العلاقات مابين الغرب و العالم الإسلامي يلاحظ حقداً مريراً ظاهراً يملأ صدر الغرب إلى درجة الجنون، و يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام إلى أبعد نقطة في النفسية الأوربية.

و لعلّ في ذكر بعض النصوص ما يكشف بوضوح عن هذه الحقيقة: يقول لورنس براون: «إنّ الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه

الإستعمار الأوربى!»[١]

و يقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا في وقته: «مادام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، و لاأن تكون هي نفسها في أمان!»[٢]

و يقول المستشرق غاردنر: «إنّ القوّة التي تكمن فيالإسلام هي التي تخيف أوربا»[٣]

و يقول أشعيا بومان في مقال نشره في مجلّة العالم الإسلامي التبشيرية: «إنّ شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام، لهذا الخوف أسباب، منها: أنّ الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً! بل إنّ أتباعه يزدادون باستمرار... و من أسباب هذاالخوف أنّ الذين من أركانه الجهاد!»[٤]

و يقول بن غوريون رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق: «إنّ أخشئ مانخشاه أن يظهر في العالم العربي محمّد جديد!»[٥]

و منذ ابتداء الغزو الفكري الغربي لعالمنا الإسلامي حوالي منتصف القرن التاسع‌عشر الميلادي كان الهمّ الأكبر للإستكبار الغربي هو إبعاد المسلمين عن الإسلام، و تشكيكهم بمعتقداتهم، و تنفيرهم من أخلاق الإسلام و آدابه و أعرافه، و ترسيخ أكذوبة

١ـ راجع: كتاب «التبشير و الإستعمار: ١٨٤»

٢ـ راجع: كتاب «الإسلام على مفترق الطرق: ٣٩».

٣ـ راجع: كتاب التبشير و الإستعمار: ٣٦/ط ٤.

٤ـ نفس المصدر: ١٣١.

٥ جريدة الكفاح الإسلامي / سنة ١٩٥٥ م / عدد الأسبوع الثانى من شهر نيسان.

الغرب في أنّ التخلّف و التحجّر ناتجان من نواتج الإعتقاد بالإسلام و الإلتزام به!

و منذ ذلك الحين بدأ الفساد ينتشر في جميع مجالات حياة الأمّة الإسلامية، فانتشرت الأفكار الكافرة، و تفشىٰ التشكيك بالقرآن،[1] و طغىٰ التراخي عن الإلتزام بأقدس الفرائض (الصلاة) في صفوف أبناء الأمة، ثمَّ شاعت الفحشاء و الخمور و أوكار البغاء و المراقص و الملاهي، حتى صار ابن الاسلام الملتزم بتعاليم و أحكام دينه غريباً في وطنه بل غريباً في بيته!

و إلى ذلك الحين لم يكن الهمّ الأكبر للغرب أن يضرب المسلمين بالمسلمين و يثير بينهم دواعي الفرقة و الإختلافات المذهبية ـ و إن كان هذا من أهدافه و غاياته ـ بل إنّ همّه الأكبر كان في إبعاد المسلمين عامّة عن الإسلام، فسعىٰ إلى نشر النعرات و الأفكار القومية التي مزّقت المسلمين كلّ ممزّق، كما ساعد الغرب بمعونة اليهود كثيراً في نشر الأفكار الإلحادية و الشيوعية في عالمنا الإسلامي، و قد اقترن كلّ هذا بجهود عظيمة بذلتها طلائع الإستكبار التبشيرية و مؤسساته الإقتصادية و جمعياته (الإنسانية!) لنشر الفساد بصورة مفجعة في عالمنا الإسلامي من أجل تمييع شخصية الإنسان المسلم و مسخه بتحويله إلى كائن لا يهدف في كلّ أموره إلاّ

١- يقول المبشر تاكلي: «يجب أن نستخدم القرآن و هو أمضىٰ سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه، حتىٰ نقضي عليه تماماً، يجب أن نبيّن للمسلمين أنّ الصحيح في القرآن ليس جديداً، و أنّ الجديد فيه ليس صحيحاً!»(راجع: التبشير و الإستعمار: ٤٠ / ط ٢).

إلىٰ بلوغ الشهوة!

يقول صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشّرين المنعقد عام ١٩٣٥ م: «إنّ مهمّة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمّدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإنّ في هذا هداية لهم و تكريماً. إنّ مهمّتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لاصلة له بالله، و بالتالي لاصلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها.

و بذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الإستعماري في الممالك الإسلامية، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له: ألا و هو إخراج المسلم من الإسلام، إنكم أعددتم نشأ لايعرف الصلة بالله! و لايريد أن يعرفها، أخرجتم المسلم من الإسلام و لم تدخلوه في المسيحية، و بالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراده الإستعمار ،لا يهتمّ بعظائم الأمور، و يحبّ الراحة و الكسل، و يسعىٰ للحصول على الشهوات بأيّ أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة!...»[١]

و بعد انتهاء الحرب العالمية الأولىٰ، و سقوط الدولة العثمانية،[٢] سيطر الغرب سيطرة مباشرة على العالم الإسلامي، و مزّقت أقلام

١ـ كتاب (قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام، أبيدوا أهله / جلال العالم: ٧١) نقلاً عن كتاب: جذور البلاء: ٢٧٥.

٢- كان الغرب يخشىٰ حتىٰ من إسم الخلافة الإسلامية المتمثّلة ـ آنذاك ـ بالدولة العثمانية، التي كانت رغم بُعد حكمها عن روح الإسلام الاّ أنّ الغرب كان يخشىٰ أن تتحول هذه الخلافة من خلافة شكليّة الى خلافة حقيقية تهددهم بالخطر!

المنتصرين في هذه الحرب خريطة قلب العالم الإسلامي إلى أقاليم متفرّقة تحكمها حكومات تأتمر بأمر الإستكبار الغربي و تخشىٰ عواقب عصيانه، فصار الإستكبار الغربي ـ فضلاً عن امتصاصه لكلّ خيرات العالم الإسلامي ـ يخطّط لحياة المسلمين في جميع جوانبها كما يشاء!

و ظنّ الإستكبار بعد طول الأمد أنّ الأمر قد استقرّ له في عالمنا الإسلامي ـ و الحمدلله الذي جعل أعداءنا من الحمقىٰ! ـ حين جرت الأمور في دنيا الإسلام كما خطّط لها الاستكبار و كما شاء! حتّىٰ فوجىء بما لم‌يكن يحتسب أو يتوقّع هو و عملاؤه و جميع أجهزة الرصد و المراقبة الإستكبارية المنتشرة في العالم الإسلامي التي كانت تحصي على هذه الأمّة المنكوبة حتّىٰ أنفاسها!

فقد شهد العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية الشريفة ـ و هو آنذاك على مشارف نهاية ذلك القرن ـ حدثاً ليس كمثله حدث معاصر في الجلال و الجمال و الروعة و الهيبة و الأهميّة، ذلكم هو حدث انتصار الثورة الإسلامية في إقليم إيران الظافر بقيادة المرجع الديني الكبير و القائد الفذّ آية الله العظمى السيّد روح الله الموسوي الخميني قدّس الله نفسه الزكيّة.

و قد انبهر العالم الإسلاميّ خاصة و العالم عامّة آنذاك بعظمة ذلك الحدث الكبير، و تأثّر الجميع به (كلٌّ بحسبه)، فقد انبعثت في روح الأمّة الإسلاميّة آمال عودة حاكميّة الإسلام من جديد و بقوّة بعد يأس و خمود، و ارتعدت فرائص الحكومات العميلة في بلاد

المسلمين خوفاً من قيام الأمة ضدها في أقطارها، و وجد مستضعفو العالم في هذه الثورة خير مثال يتأسّىٰ به في التحرّك نحو الخلاص من هيمنة الإستكبار و الطواغيت، و فزع المستكبرون من آثار هذه الثورة المباركة، و هرعوا يخطّطون لمحاصرتها في أضيق دائرة ممكنة، فضلاً عن مخطّطات القضاء عليها!

و حين شعر الإستكبار الغربي أنّ الجهود المريرة التي بذلها خلال ما يقارب قرناً و نصف قرن في إبعاد المسلمين عامة عن الإسلام قد ارتدّت خائبة إلى نقطة الصفر بانتصار ثورة إسلامية في بلد إسلامي بمثل هذه الجماهيرية و الروعة و الجلال، و قد تأثربها و اندهش لروعتها المسلمون جميعاً و غير المسلمين، و أصبح حتىّ الانسان الغربي الذي أرهق روحه تيه و ضلال الفكر المادي يتساءل بإعجاب و انبهار عن الإسلام و عن قدرته العجيبة في صناعة الانسان الإلهي المبدئي... حينذاك صار جُلّ و أكبرهمّ الإستكبار الغربي على صعيد مواجهة الإسلام فكرياً و إعلامياً ـ فضلاً عن المواجهة السياسية و الإقتصادية ـ أن يعمل علىٰ مستويين رئيسين هما:

١ ـ تشويه صورة هذه الثورة الإسلامية و المذهب الإسلامي الذي تتبناه هذه الثورة، و هو مذهب أهل البيت عليهم السلام، في أذهان المسلمين من أبناء المذاهب الإسلامية الأخرىٰ بصورة خاصة، و في أذهان غير المسلمين في جميع أقطار العالم الأخرىٰ بصورة عامة، من أجل محاصرة هذه الثورة الإسلامية في إيران منعاً لامتداد تأثيرها و انتشار شعلتها في البلاد الإسلامية الأخرىٰ أو في

بلدان مستضعفي العالم عامة.

٢ـ تشويه حقيقة الإسلام ـ بأسلوب إعلامي و تقنّي متفوّق ـ في ذهنية الإنسان الغربي، منعاً من تأثره بالإسلام و بالروحيّة الإسلامية.

و قد لاحظنا ـ في بلداننا العربية و في غيرها ـ التجسيد العملي لهذا التوّجه الإستكباري الجديد على ـ هذين المستويين الرئيسين ـ في إشارات عملية عديدة، منها على سبيل المثال:

*: صدور كتب يستظهر مؤلفوها الموضوعية في دراسة المذهب الشيعي،و لكنّهم يستبطنون التضليل و التشكيك و تشويه حقيقة هذا المذهب الحق، كما في محاولة الكاتب المصري محمد عمارة في فصل (الشيعة الإثني عشرية) من كتابه (تيّارات الفكر الإسلامي) الذي صدر بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران.

*: التشكيك و التضليل الإعلامي و السياسي و الديني فيما يتعلق بموضوع الإمام المهدي عليه السلام، من أجل حرف البشرية عامّة و المسلمين خاصة عن الإهتمام بهذا المنقذ الموعود و بحقائق موضوعه، في حقّانيّته و حتمية انتصاره، و هيمنته على العالم، و نشره العدل التام على الأرض كلّها من خلال تطبيقه الكامل للإسلام المحمّدي الخالص، كلّ ذلك منعاً من التوجّه إليه و الإيمان به، و يلحظ هذا التشكيك و التضليل في أنشطة كثيرة لعلّ أبرزها الفيلم السينمائي الذي ادّعوا بأنّه تسجيل و ثائقي لنبوأت (نوستر أداموس)، و قد لايخلو هذا الفيلم من تشويه لهذه النبوأت الغامضة

نفسها بما يخدم دوافع العداء للدين الإسلامي الحنيف. و من هذه الأنشطة أيضاً محاولات إصدار كتب التشكيك بموضوع الامام المهدي عليه السلام بأقلام مأجورة محسوبة في الظاهر على الاسلام عامّة و على التشيّع خاصة بأسلوب سافر كما في محاولات (أحمد الكاتب)التشكيكية!

*: صدور كتاب «الآيات الشيطانيّة» لمؤلّفه المرتدّ الهندي الإنجليزيّ المرتع و المنشأ (سلمان رشدي)، الذي أساء فيه إلىٰ النبي الأكرم محمد صلى الله عليه و آله إساءات فاحشة، و قد طُبع هذا الكتاب و انتشر في العالم الغربي بأعداد كبيرة جداً، الأمر الذي يكشف عن الدافع من وراء نشره بهذا الإتساع، و ما ذلك الدافع في الأساس إلاّ تشويه حقيقية الإسلام و نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله في ذهن الإنسان الغربي أولاً و بالأساس من أجل تحصينه عن التأثر بالإشعاعات الإسلامية التي انبعثت جديداً نتيجة انتصار الثوُرة الإسلامية في ايران.

و لازالت رياح الغزو الفكري الغربي الكافر تهبّ بقوّة و شراسة على عالمنا الإسلامي خصوصاًفي أيامنا الحاضرة هذه، حيث أحكمت وسائل الإعلام الكافر قبضتها على كلّ العالم بطريقة حديثة و متفوّقة و شاملة، و لازلنا نطّلع في كلّ يوم على خائنة منهم في وسائلهم الإعلامية المسموعة أو المرئيّة أو في عالم الكتب!

و ظُلمُ ذوي القُربىٰ اشدُّ و آلمُ...!!

في الوقت الذي تحتّم المسؤولية الشرعية على جميع المسلمين

و على علمائهم خاصة أن يقفوا صفّاً كالبنيان المرصوص في مواجهة الغزو الفكري الغربي الكافر، و أن ينفتحوا على بعضهم البعض على أساس المشتركات الدينيّة الواسعة بينهم في الأصول و الفروع، على طريق «الوحدة الاسلامية»،[1] لازالت تُدهشنا بين حين و آخر محاولات تصدر عن إخوان لنا في الدين تُضعف من قوّة الكيان الإسلامي، و تشتّت الكلمة و تشقّ عصا الوحدة الإسلامية المنشودة!

و إذا كانت هذه المحاولات متوقّعة و مألوفة من قبل الغرب الكافر في إطار حملاته المسعورة على الإسلام، فهي مستغربة و غير متوقّعة الصدور عن بعض أفراد العائلة الإسلامية الواحدة!

لقد استغرب الكثير من المؤمنين من ذوي الغيرة الدينية في بلادنا الإسلامية العربية و غير العربية لصدور كتاب «أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية» لمؤلف يُسمّىٰ «ناصربن عبد الله بن علي القفاري» من أهل الحجاز، و هو خرّيج «جامعة محمّدبن سعود»، و قد نال هذا المؤلف بهذا الكتاب شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى من هذه الجامعة!

١ـ يقول القس سيمون: «إنّ الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، و تساعد علىٰ التخلّص من السيطرة الأوربية، و التبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير إتجاه المسلمين عن الوحدة الاسلاميّة!» (راجع: كتاب: كيف هدمت الخلافة: ص ١٩٠)، و يقول المبشّر لورانس براون: «يجب أن يبقىٰ العرب و المسلمون متفرّقين، ليبقوا بلاقوّة و لاتأثير!»(راجع: كتاب: جذور البلاء: ٢٠٢)

لقد كان المأمول أن يكون هذا الكتاب خصوصاً و هو يحمل هذا العنوان دراسة موضوعيّة علميّة متفتّحة هدفها الحقيقة الإسلامية، و غرضها تعريف المسلمين من أبناء المذاهب الإسلامية الأخرىٰ بحقيقة مذهب أهل البيت عليهم السلام بأسلوب تحقيقي رشيق غايته التقريب بين أبناء الإسلام، خصوصاً و هو يصدر عن مثل هذه الجامعة القائمة في إقليم إسلامي مهم!

غير أنّ من يقرأه لايحتاج إلى كثير تأمّل و لا إلىٰ عميق تدبّر حتّىٰ يخرج بهذه النتيجة و هي أنّ الكتاب واحد من تلكم الكتب التي أرادلها الإستكبار الغربي أن تصدر، في مجرىٰ تيّار الحملة التشكيكية بالمذهب الشيعيّ، مذهب أهل البيت عليهم السلام، ذلك لما في منهج هذا الكتاب و محتواه من «هوية الإنتماء التام» للحملة المسعورة التي شنّها الإستكبار الغربي و عملاؤه الفكريون على مذهب أهل البيت عليهم السلام منذ بداية الثمانينات من القرن العشرين الميلادي.

و في جامعة «محمدبن سعود» قسم من أقسامها عنوانه «قسم العقيدة و المذاهب المعاصرة»، و يتبادر إلى ذهن من يسمع بهذا القسم أنّ لهذا القسم جملة رفيعة من المحققين ذوي الإختصاصات المعمّقة في معرفة أنواع المذاهب و الأديان، و ذوي الإطّلاع الدقيق على معتقدات هذه المذاهب و نظراتها، و حدود الإتفاق و الإختلاف فيما بينها،من خلال معرفة لايعتورها خلط و لايكثر فيها الإشتباه، معرفة لم تنشأ عن مطالعة ثقافية عامّة حصدت نتاجها

من غثّ و سمين، و خيال و حقيقة، بل معرفة نشأت عن تحقيق علمي ميداني في نفس تراث و مباني تلك المذاهب و الأديان، و تحصّلت ركائزها و توثّقت مستنداتها بعد مناقشات و محاورات علميّة طويلة و كثيرة مع نفس علماء و مراجع تلكم المذاهب و الأديان... و هذه هي سيرة السلف الصالح من محققّي و علماء هذه الأمّة المرحومة في طلب الحقيقة و كشف الأستار عنها، فقد كانت لهم إفادات و استفادات عظيمة من خلال محاورات و مناظرات و ندوات علمية فيما بينهم، لاتزال الأجيال تنهل من معينها منذ سجّلت و طبعت في كتب حملت إسم المناظرات أو الإحتجاجات أوالمراجعات.

بل إنّ هذه السيرة العلمية في المناظرة و معرفة الرأي الآخر من أهله لازالت مستمرة و معمولاً بها حتّىٰ أيامنا الحاضرة، و في مختلف العلوم، كعلم الطبّ و الهندسة و غيرهما، إذ لم تزل الإجتماعات و الندوات و المؤتمرات المتخصصّة تعقد كلّ حين لعرض ما استحدث من آراء و نظريات، لنقدها و سدّ ثغراتها، أو لإثبات جدارتها بالاعتماد و التبنّي الكامل، و في مثل هذه المحافل يتمّ تبادل الأفكار بكلّ إحترام و انفتاح، من دون أن يتهمّ طرف طرفاً آخر بالجهل و التحجّر و التعصّب، أو ينال منه لمجرّد عدم موافقة رأيه و عدم القبول به!، بل تجد الأطراف العلمية في مثل هذه المحافل يتحاورون بالمستوىٰ اللائق بالروح العلمية إلى أن يتوصّلوا إلىٰ الرأي الصائب فيتقبلّوه و يأخذوا به!

لكنّ من يقرأ كتاب «أصـول مـذهب الشـيعة الإمـاميّة الإثـني عشرية» لهذا الرجل القفاري! و هو بحسب شـهادة الدكـتوراه مـن درجة الشرف الأولى التـي نـالها مـن قسـم العـقيدة و المـذاهب المعاصرة محققّ لامع في هذا القسم!! ـ يـخيب ظـنّه و أمـله فـي المستوىٰ العلمي لهذا القسم! بل وفي المستوىٰ العلمي للجامعة التي حوت هذا القسم!

ذلك لما في هذا الكتاب من:

❊: التقطيع و التحريف لأحاديث أهل البيت عليهم السلام و كلمات علماء الشيعة و مفكّريهم.

❊: الإفتراء على الشيعة الإماميّة و اتهامهم بما ليس فيهم.

❊: الإستناد إلىٰ الأحاديث الضعيفة و الشاذّة عند الشيعة.

❊: الخلط بين مذهب الشيعة الإمامية (مذهب أهـل البـيت عليهم السلام) و مذاهب أخرىٰ.

❊: التنكّب عن الطريق الصحيح لدراسة المذاهب.

❊: الإغماض عن ملاحظة جميع التفريعات المهمّة في المباحث.

❊: الإستشهاد بما في كتب المتعصبين الحاقدين عـلى مـذهب أهل البيت عليهم السلام.

❊: عدم التـفريق بـين المـذهب كـرأي و نـظرية و بـين عـمل المنتسبين إليه.

و لعلّ من الأفضل ـ قبل الدخول في النقد التـفصيلي لمـباحث

هذاالكتاب ـ أن نتعرض لتلك الملاحظات الآنفة بشيء من العرض و الإيضاح الموجز، مدخلاً لنقد أصل الكتاب و مناقشة مباحثه بالأدلّة التفصيلية بعون الله العزيز القدير، لئلاّ يتّخذ هذاالكتاب من لم يطّلع على مذهب الشيعة الإمامية مصدراً من مصادر هذا المذهب! كاشفاً عن أفكار و نظرات علمائه! و لئلاّ يتوهم أحد أنّ هذا الكتاب ـ مع ما يبدوفيه من كثرة تتبع ـ يحكي بصدق عن معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين قرنهم خاتم الأنبياء و الرسل محمد صلى الله عليه وآله بكتاب الله المجيد في حديث الثقلين ـ الذي تسالمت الأمة جمعاء على تواتره و قطعية صدوره ـ ففي مسند أحمد: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إني قد تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي: الثقلين، و أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، ألا و إنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض.**»[1]

و لنأت الآن على عرض هذه المؤاخذات واحدة بعد أخرىٰ:

١ـ مسند أحمد: ٥: ١٨١ و أنظر صحيح مسلم /كتاب الفضائل: ٤: ١١٠.

* : التقطيع والتحريف لأحاديث أهل البيت عليهم السلام و كلمات علماء الشيعة و مفكريهم

من الأساليب التي يتعمدها الكتّاب الحاقدون على الشيعة الإثني عشرية المتمسّكين بمذهب أهل البيت عليهم السلام، أسلوب تحريف المعاني المستفادة من رواياتهم و أحاديثهم عليهم السلام، أو من كلمات علماء الشيعة الإثني عشرية، و ذلك بأن يقتطع الكاتب جزءاً من متن الرواية أو الحديث أو الكلمة، لأنّه يشعّ بمعنى مغاير لمعنى المتن كلّه، فيأخذه ابتغاء الفتنة، و يهمل ذكر بقية المتن ليحول دون ظهور و اكتمال المعنى الحقيقي الذي يتشكّل من مجموع متن الرواية أو الحديث أو الكلمة.

و من المؤسف جدّاً أنّ دكتورنا المؤلف ناصر القفاري قد اجترح في كتابه هذه الخيانة أيضاً، و مع ذلك فقد منحته جامعة «محمد بن سعود» على كتابه هذا شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف الأولى!

و نقول في إطار حسن الظنّ بهذه الجامعة: لعلّ ذلك قد خفي على مسؤولي هذه الجامعة، و نأمل أن تكون سطورنا هذه ملفتة لانتباههم، ليقفوا من ناصر القفاريّ موقفاً جديداً صحيحاً صريحاً، فيسلبوا منه هذه الشهادة حفاظاً على سمعة الجامعة و صيانة لها من

لصوق تهمة الخيانة بها، و من كلّ مالايليق باسم جامعة دينية في إقليم إسلامي مهم!

و لنأتِ على نماذج من هذه التقطيعات و التحريفات:

النموذج الأوّل:

الشيعة يصفون ائمتهم بصفات الله و يسمونهم باسمائه!

يقدّم ناصر القفاريّ مقدّمة في هذا الصدد فيدّعي بأنّ الشيعة قد شّبهوا الخالق سبحانه بصفات المخلوقين، و أنّهم لم‌يكتفوا بذلك بل تطوّر الأمر إلىٰ وصفهم بعض البشر (الأئمّة) بصفات الله الواجبة له سبحانه! و نقل عن علماء من الشيعة بعض الرواياتالتي يظهر منها هذا المعنى، فقال في الجزء الثاني من كتابه[1]، ص ٦٧٧: «و قد ذكر المجلسي ستّاً و ثلاثين رواية تقول إنّ الأئمّة هم وجه‌الله، و يدالله، و في رجال الكشّي و غيره، قال عليٌ ـ كما يفترون ـ: «أنا وجه‌الله، أنا جنب الله، أنا الأوّل، أنا الآخر، أنا الظاهر، أنا الباطن،...»

لِيُفهِمَ قاريء كتابه و يوحي إليه أنّ هذه الرواية و نظائرها تثبت لعلّي أمير المؤمنين عليه السلام نفس صفات‌الله سبحانه و أسمائه الحسنىٰ!

فهو يخاطب القاريء ـ في الجزء الثاني ص ٦٧٩ ـ قائلاً: «و هم يُلصقون هذه المفتريات بأهل البيت ليتخذوا منهم «عكّازة» يعتمدون عليها لنشر مذهبهم، و إلاّ فمن يقول «أنا الأوّل، أنا الآخر،

١ـ أصول مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية، عرض و نقد، دارالرضا للنّشر و التوزيع، الطبعة الثالثه، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.

أناالظاهر، أناالباطن» هل يختلف عن فرعون الذي قال «أنـا ربّكم الأعلىٰ»؟!».

الملاحظة:

أنظر كيف يشـبّه هـذا القـفاري قـول أمـيرالمـؤمنين عليه السلام بـقول فرعون!؟

لنسأل هذا القفاريّ: لو أن أحد الطلاّب نال المرتبة الأولىٰ فـي الصف الدراسي بعد ما نجح في الامتحان ثمّ قال: «أنا الأوّل» تُرىٰ هل يحكم هذا القفاري بكفر هذا الطالب، و بأنّه كفرعون و بلافرق، لأنّه وصف نفسه بصفة الله و سمّىٰ نفسه بأحد أسمائه الحسنىٰ!؟

فإن قال القفاري: إنّ بين القولين بوناً شاسعاً و فرقاً كـبيراً، لأنّ هذا الطالب قد اقترن قوله بقرينة يعلم السامع منها أنّ مراده هو أنّه الأوّل في الصف الدراسي ليس إلاّ.

قلنا: هذا صحيح، ذلك لأنّ الكلام المجمل أو الظاهر في معنىً ما ظهوراً أوليّاً إذا كان مقترناً بقرينة تفسّره فلابدّ مـن حـمله عـليها، و بذلك يرتفع الإجمال أو الظهور الأولي.

و المقام في ردّنا على ناصر القفاري في هذه النـقطة مـن هـذا القبيل، لأنّ النصّ الكامل للرواية التي نقلها العلاّمة المجلسي رحمه الله قد تضمّن أيضاً القرينة الدالّة علىٰ أنّ مراد أمير المؤمنين عليه السلام في قـوله «أنا الأوّل، أنا الآخر،...» ليس المراد الذي تعمّد الذهاب إليه ناصر القفاري بتقطيعه متن الرواية و تركه القرينة عـامداً ابـتغاء الفـتنة!

لنقرأنصّ الرواية كاملاً:

«سئل أميرالمؤمنين عليه السلام : كيف أصبحت؟

فقال: أصبحتُ و أنا الصدّيق الأكبر، و الفاروق الأعظم، و أنا وصيّ خير البشر، و أنا الأوّل، و أنا الآخر، و أنا الباطن، و أنا الظاهر، و أنا بكلّ شيء عليم، و أنا عين الله، و أنا جنب الله، و أنا أمين الله على المرسلين، بنا عُبدالله، و نحن خزّان الله في أرضه و سمائه، و أنا أحيي، و أنا أميت، و أنا حيٌّ لاأموت.

فتعجّب الأعرابيّ من قوله!

فقال عليه السلام : أنا الاوّل: أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله ، و أنا الظاهر: ظاهر الإسلام، و أنا الباطن: بطين من العلم، و أنا بكلّ شيء عليم: فإني عليم بكلّ شيء أخبر الله به نبيّه فأخبرني به، فأمّا عين الله: فأنا عينه على المؤمنين و الكفرة، و أمّا جنب الله: فأن تقول نفسٌ يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله، و من فرّط فيّ فقد فرّط في الله، ولم يجز لنبيّ نبوّة حتّى يأخذ خاتماً من محمد صلى الله عليه وآله ، فلذلك سمّي خاتم النبيين، محمّد سيّدالنبيين و أنا سيّد الوصيين، و أمّا خزّان الله في أرضه: فقد علمنا ما علّمنا رسول الله صلى الله عليه وآله بقول صادق، و أنا أحيي: أحيي سنّة رسول الله، و أنا أميت: أميت البدعة، و أنا حيّ لاأموت: لقوله تعالى: «و لاتحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يُرزقون.»[١]».[٢]

١ـ سورة آل عمران: الآية ١٦٩

٢- البحار: ٣٩: ٣٤٧ حديث رقم ٢٠

و المتابع يجد أنّ سائر الروايات التي نقلها العلاّمةُ المجلسي[1] محفوفة بالقرائن الكاشفة عن معانيها الحقيقية التي تعامىٰ عن رؤيتها ناصر القفاري عامداً!

و إذا كانت الروايات الصريحة المحكمة قرائن كاشفة عن المعاني الحقيقية في الروايات المتشابهة، فهل يصحّ لعاقل أن يترك القرائن الحاكمة و الكاشفة عن المعاني الحقيقية المسلّم بها و يأخذ بالمتشابه من المعاني!؟

إذا كان هذا لايصحّ لعاقل عادي أن يفعله، فما بالك بمن يدّعي العلم في مستوىٰ شهادة الدكتوراه!؟

النموذج الثاني:

هل التضرع إلىٰ الله تعالىٰ عند قبور الأئمة عليهم السلام شرك!؟

قال مؤلّف الكتاب ناصر القفاري في الجزء الثاني ص ٥١٧:

«و في أكثر زياراتهم (أي الشيعة) يؤكدون في أثنائها و خاتمتها علىٰ الإنكباب علىٰ القبر و دعائه، فهذه زيارة للحسين أوصىٰ بها جعفرالصادق ـ كما يزعمون ـ.. و قُلْ: يا مولاي يا أبا عبدالله، يابن رسول‌الله، عبدك و ابن عبدك و ابن أمتك، الذليل بين يديك، المقصّر في علوّ قدرك، المعترف بحقّك ،جاءك، مستجيراً بذمّتك، قاصداً إلىٰ حرمك، متوجّهاً إلىٰ مقامك ـ إلىٰ أن قال ـ ثمّ انكب علىٰ القبر و قلْ:

١- راجع: البحار: ٢٤ و البحار: ٩٤

يا مولاي أتيتك خائفاً فآمنّي، و أتيتك مستجيراً فأجرني... ثمّ انكب علىٰ القبر ثانية... إلىٰ آخر الزيارة التي يدعو فيها مخلوقاً من دون الله سبحانه، و يتضرّع اليه كأنّه يتضرّع أمام‌الله! فماذا يكون الشرك إذا لم يكن هذا شركاً!؟»

الملاحظة:

لمّا راجعنا بحارالأنوار للـمجلسيّ‌ﷺ عـلمنا آسـفين أنّ نـاصر القفاري في تعرّضه لهذه الزيارة المباركة كان قد تعمّد ترك و حذف هذه الجملة من متن الزيارة، و هي «**متوسّلاً إلىٰ الله تبارك و تعالى بك**»[1] بعد قوله «**متوجّهاً إلىٰ مقامك**»!

و هذا دليل صريح علىٰ أنّ الزائر بهذه الزيارة يعتقد بأنّ الأئمةﷺ عباد لله سبحانه، و لكنّهم عباد مقرّبون مكرمون لهـم شأن خـاص و منزلة رفيعة و مقام محمود عند الله تبارك و تعالىٰ، و هم الوسيلة إلىٰ الله جلّ شأنه.

إذن فالزائر في الحقيقة يدعو الله وحده بهذه الزيارة، و يـرجـو الزلفىٰ لديه بواسطة أحد أئّمة أهل‌البيتﷺ و باتخاذهم وسيلة إلىٰ الله تعالى ـ و هم أرفع و أجلّ و أشرف الوسائل إلى‌الله ـ يكون هذا الزائر قد امتثل أمر‌الله تبارك و تعالىٰ في قوله: «**يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا‌الله‌وابتغوا‌إليه‌الوسيلة و جاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون**»[2]

١- راجع: البحار: ١٠١: ٢٥٩.
٢- سورة المائدة: الآية ٣٥.

فأين هذا من الشرك!؟ و أنّى هذا من دعاء المخلوق من دون الله سبحانه!؟ هل هذا إلاّ افتراء متعمّد و تهمة!؟

لاشكّ أنّ ناصر القفاري قد قرأ جميع فقرات هذه الزيارة، و قد تمّت الحجّة عليه بعد أن تعامىٰ عن تلك الجملة و نظائرها في متن الزيارة، كقول الإمام الصادق عليه السلام: **«فإذا توجّهت إلىٰ الحائر فقل: اللهمّ إليك قصدتُ، و لبابك قرعتُ، و بفنائك نزلتُ، و بك اعتصمتُ، و لرحمتك تعرّضتُ و بوليّك الحسين عليه السلام توسّلتُ».**

تُرىٰ: هذا تضرّع إلىٰ الله وحده أم تضرّع إلى مخلوق من دون الله!؟ ثمّ أليس الإمام الحسين عليه السلام ولياً من أعاظم أولياء الله تبارك و تعالى، و هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله و في أخيه الإمام الحسن عليه السلام: **«الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة»**[1] و قال فيهما صلى الله عليه وآله: **«هما ريحانتاي من الدنيا»**[2]، و قال صلى الله عليه وآله فيهما أيضاً: **«إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا...»**[3].

١- راجع: سنن الترمذي: ٢: ٣٠٦ و مسند أحمد: ٣: و ٦٢و ٨٢ و حيلة الأولياء لأبي نعيم: ٥: ٧١ و تاريخ بغداد: ٩: ٢٣١ و ٢٣٢ وكذلك: ١٠: ٩٠ و مصادر أخرىٰ كثيرة من منابع و مسانيد أهل السنّة

٢- راجع: صحيح البخاري في كتاب الأدب في باب رحمة الولد و تقبيله و معانقته، عن ابن عمر، و رواه بطريق آخر أيضاً في كتاب بدء الخلق في باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، و رواه أيضاً في الأدب المفرد. كما رواه الترمذي في سننه: ٣: ٣٠٦، و أحمد في مسنده: ٢: ٨٠ و ٩٣ و ١١٤ و ١٥٣ بطرق عديدة. و روته أيضاً مصادر كثيرة أخرىٰ لأهل السنّة (راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٣: ٢٢٦ ـ ٢٢٩)

٣- راجع: البحار: ٤٣: ٢٧٨ و نزهة المجالس: ٢: ١٨٤ و الإتحاف في حبّ الأشراف: ١٢٩.

فهل التوسل إلىٰ‌الله تعالىٰ بوليّ من أعاظم أوليـائه شـرك بـالله سبحانه!؟ لنؤجّل تفصيل القول في مبحث التـوسّل و الشـفاعة إلىٰ مكانه المناسب من نقدنا التفصيلي لمباحث كتاب نـاصر القـفاري الذي اتّبع ـ على غير بصيرة ـ ابن تيمية في آرائه الشاذة التي ردّها و رفضها سائر علماء أهل‌السنّة ـ و ما تبعه عليها إلاّ السـلفيّة دون سائر مذاهب أهل‌السنّة!

و لنا هنا أن نساءل القـفاري: لمـاذا هـذا التـقطيع و التـحريف المتعمّد!؟

هل لهذا التقطيع و التحريف محمل صحيح حتىٰ تـبرأ سـاحتك و ذمّتك، و تبرأ ذمّة الجامعة التي منحتك على هذا الكتاب شـهادة دكتوراه!؟

النموذج الثالث:

راي الشيعة في مسألة رؤية الله سبحانه

لا يخفىٰ أنّ غرضنا هنا ليس التعرّض إلىٰ مبحث رؤية الله سبحانه بالتفصيل، و نقل الأقوال في هذه القضية و نقدها و بـيان الصـحيح منها، بل مقصودنا هنا هو الإشارة الى تحريف و تقطيع ناصر القفاري لروايـــات الشـيعة لـيـنسب إليــهم مــالا يــقولونه افــتراءً عليهم و ابتغاء للفتنة.

لقد تعرّض ناصر القفاري في كتابه إلى مسألة إمكان رؤيـة الله سبحانه، فأثبت هذه الرؤية، و قال: الرؤية حقّ لأهـل الجـنّة بـغير

إحاطة و لاكيفية، و مستدلاً بالآية الكريمة **«وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة»**[١]

و ذكر أنّ الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله و أصحابه الدالّة علىٰ ذلك متواترة. و قال بعد ذلك: و قد قال بثبوت الرؤية الصحابة و أئمة الإسلام و المعروفون بالإمامة في الدين و سائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلىٰ السنّة و الجماعة، و خالف في ذلك الجهمية و المعتزلة و من تبعهم من الخوارج و الإماميّة، و قولهم باطل مردود بالكتاب و السنّة و إجماع السلف.[٢]

ثم ذكر ما يدلّ بزعمه على مدّعاه بصدد قول الشيعة من مصادرهم! و في آخر كلامه زعم أنّ نفي الرؤية الذي هو مذهب الشيعة خروج عن مذهب أهل البيت عليهم السلام لأنّ بعض رواياتهم اعترفت بذلك (أي بثبوت الرؤية)، ثمّ نقل رواية عن ابن بابويه بهذه الكيفية قائلاً: فقد روىٰ ابن بابويه القمّي، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت له: **أخبرني عن الله عزّوجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم.**

نقلها عن كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ١١٧ و عن بحارالانوار: ٤: ٤٤، و اكتفىٰ بهذا المقدار، و زعم أنّ هذا دليل على ثبوت الرؤية عند مذهب أهل البيت عليهم السلام، و أنّ الشيعة يخالفون مذهب أهل البيت عليهم السلام و يذهبون إلى عدم ثبوت الرؤية!

١- سورة القيامة: الآية ٢٢ و ٢٣.
٢- راجع: أصول مذهب الشيعة: ٢: ٦٦٨ ـ ٦٦٩.

الملاحظة

و لمّا راجعنا كتاب التوحيد و كتاب البحار وجدنا أنّ للرواية تتمّة، و قد حذفها هذا الدكتور عامداً ليوحي إلىٰ قاريء كتابه بما يشتهيه هو من الإستدلال و النتيجة!!

أمّا أصل الرواية و متنها الكامل فهو:

... عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «قلت له: أخبرني عن الله عزّوجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟

قال: نعم، و قد رأوه قبل يوم القيامة!

فقلت: متىٰ؟

قال: حين قال لهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلىٰ[1]

ثم سكت ساعة، ثمّ قال: و إنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة! ألستَ تراه في وقتك هذا؟

قال أبوبصير: فقلت له: جُعلتُ فداك! فأُحدّث بهذا عنك؟

فقال: لا، فإنك إذا حدّثت به فأنكر منكرٌ جاهلٌ بمعنىٰ ما تقوله، ثمّ قدّر أنّ ذلك تشبيه كفَر، و ليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالىٰ الله عمّا يصفه المشبهوّن و الملحدون.»

فالشيعة يذهبون إذن تبعاً لأئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى نفي الرؤية

١- إشارة إلى قوله تعالىٰ في سورة الأعراف / الآية ١٧٢: «و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم و أشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنّا عن هذا غافلين»

بالعين مطلقاً في الدنيا و الأخرة، لأنّ ذلك يستلزم أن يكون المرئي جسماً ذا أبعاد تحيط بها العين في نظرها إليه! تعالىٰ الله عن ذلك علوّاً كبيراً!

و تذهب الشيعة إلىٰ ثبوت الرؤية بالقلب و العقل بلافرق بين عالم الدنيا و الآخرة و غيرهما من العوالم.

فإذا كان مقصود ناصرالقفاري هو أنّ الشيعة تخالف الكتاب و النبيﷺ و الصحابة و الإجماع في الرؤية بالقلب و العقل فهذا افتراء عليها بلادليل و لابرهان، لأنّ الشيعة تثبت هذه الرؤية، و إذا كان مقصوده هو أنّ الشيعة تخالف الوهابية لأنها تنفي الرؤية بالعين فهذا صحيح، إلاّ أنّ هذا الدكتور قد كفّر النبيﷺ و الصحابة و علماء الإسلام و أئمة الدين جميعاً! لأنّه زعم أنّهم يثبتون الرؤية بالعين التي تستلزم التجسيم الباطل بضرورة العقل و الدين، و لايمكن أن يلتزم بالقول بجواز الرؤية بالعين من له أدنىٰ معرفة بحقائق العقيدة الإسلامية، فما بالك بعلماء الإسلام و أئمّة الدين و النبيﷺ!؟

النموذج الرابع:

للشيعة ثلاثة عشر إماما بزعم القفاري!!

و لم‌يكتف القفاريّ في تقطيع و تحريف روايات أهل‌البيت عليهم السلام بالحذف منها، بل عمد إلىٰ ماهو أسوأمن ذلك، حيث تجرّأ علىٰ الإضافة إليها – من عنده – ما ليس في أصل المتن كما هو مدوّن و مثبت في المصادر.

فقد قال في الجزء الثاني من كتابه ص ٨٠٩.

«كما أنّك ترىٰ الكافي أصحّ كتبهم الأربعة قد احتوىٰ علىٰ جملة من أحاديثهم تقول بأنّ الأئمّة ثلاثة عشر، فقد روىٰ الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي و إثناعشر إماماً من ولدي، و أنت يا عليّ، رزّ الأرض، يعني أوتادها و جبالها، بنا أوتد الله الأرض أنْ تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها و لم ينظروا.»

الملاحظة:

للقاريء الكريم أن يراجع كتاب «الكافي» الشريف، الجزء الأوّل، ص ٥٣٤ باب (ماجاء في الأثني عشر و النصّ عليهم)، حديث رقم ١٧، ليعجب حين يرىٰ أنّ نصّ الرواية ليس فيه كلمة «إماماً»! بل فيه «إنّي و إثناعشر من ولدي و أنت يا عليّ...».

و إذا علمنا أنّ كلمة «ولدي» تشمل الذكور و الإناث، علمنا أنّ مراده صلى الله عليه وآله أنّ فاطمة عليها السلام من هؤلاء الإثني عشر من ولده صلى الله عليه وآله، و هذا لايقدح في أنّ الأحد عشر إماماً من ولده صلى الله عليه وآله و ولد عليّ عليه السلام مع عليّ عليه السلام هم الأئمة الإثناعشر عليهم السلام عند الشيعة الإمامية، هذا فضلاً عن أنّ هذا الحديث ضعيف سنداً كما صرحّ به العلامة المجلسي في كتابه (مرآة العقول ٦: ٢٣٢).

و في الردّ التفصيليّ على مباحث كتاب القفاريّ سنتعرض إلىٰ جميع روايات هذا الباب من حيث الدلالة و السند.

النموذج الخامس:

تفويض الأمور من قبل الله تعالى إلى الائمة عليهم السلام:

و زعم القفاري قائلاً: «والشيعة تزعم في رواياتها أنّ الله سبحانه و تعالى «خلق محمّداً و عليّاً و فاطمة فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق الأشياء، فأشهدهم خلقها، و أجرىٰ طاعتهم عليها، و فوّض أمورهم إليها، فهم يُحلّون مايشاءون و يحرّمون ما يشاءون.» و جاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في الإختصاص و المجلسي في البحار و غيرهما، عن أبي جعفر قال: «من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين فهو حلال لأنّ الأئمّة منّا مفوَّض إليهم، فما أحلّوا فهو حلال، و ما حرّموا فهو حرام.»، هكذا يصرّحون بأنّ للأئمّة حقّ التشريع و التحليل و التحريم، فما أحلّوه من بيت مال المسلمين فهو حلال، و ماحرّموه فهو حرام... فجعل هؤلاء من أئمّتهم أرباباً من دون الله...»[1]

الملاحظة:

إنّ أوضح و أهمّ أهداف القفاري من وراء كتابه هو استفزاز حميّة المخاطب السنّي ضدّ إخوانه المسلمين من الشيعة! و نجد القفاري هنا ـ على جاري عادته في كتابه ـ يقتطع ما يشتهي

١-كتاب أصول مذهب الشيعة: ٢: ٥٨٧ ـ ٥٨٨

له من نصّ الرواية ليحرّف المعنىٰ الحقيقي الذي يشعّه تمام النصّ،من أجل تحقيق هذا الهدف الإستفزازي!

فحينما راجعنا ـ المصدر الذي أشار إليه القفاري ـ و هو كتاب الكافي الشريف،[1] و بحارالانوار[2] نقلاً عن الكافي ـ وجدنا أنّ القفاري حذف من هذا النصّ الشريف المرويّ عن الإمام الجوادعليه‌السلام أهم عبارة كاشفة عن معناه الحقيقي، و هي **«و لن يشاؤا إلاّ أن يشاء الله تبارك و تعالىٰ»**، و تأتي بعد عبارة **«فهم يُحلّون ما يشاءون ويحرّمون ما يشاءون»**.

و مع هذه العبارة يتمّ المعنىٰ الحقيقي لهذا النصّ الشريف ـ الذي أراد القفاريّ أن يحرّف معناه كما «يهوىٰ» بتقطيعه إياه عمداً ـ و المعنىٰ الحقيقي لهذا النصّ المبارك هو أنّ قلوبهم: **«أوعية لمشيئةالله»**[3] فبعد أنْ أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً، صارت مشيئتهم تجسيداً لمشيئة الله تعالى، فما يشاؤون إلاّ ما شاء الله، و لا يشاؤون إلاّ أن يشاء الله.

و همعليهم‌السلام أوصياء رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله، المحلّلون لحلاله، المحرّمون لحرامه، و حلال محمّدصلى‌الله‌عليه‌وآله حلال إلى يوم القيامة، و حرامه حرام إلى

١- الكافي: ١: ٤٤١ حديث رقم ٥

٢- بحارالانوار: ٢٥: ٣٤٠ ـ ٣٤٢ حديث رقم ٢٤.

٣- في رواية أنّ الحجةعليه‌السلام قال مخاطباً كامل بن إبراهيم المدني ـ الذي جاء يسأل الإمام الحسن العسكرىعليه‌السلام بعض الأسئلة ـ: «وجئت تسأله عن مقالة المفوّضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيّة اللّه، فإذا شاء شئنا، و اللّه يقول «و ما تشاؤون إلاّ أن يشاء اللّه».» (راجع: الغيبة / للشيخ الطوسي: ٢٤٦ ـ ٢٤٧ حديث رقم ٢١٦/ مؤسسة المعارف الإسلاميّة).

يوم القيامة، و هذا من لوازم «الخاتميّة في النبوة»، إذ لانبي بعده صلى الله عليه وآله، إذن فما يحللّونه أوما يحرّمونه إنّما هو «بيان» لما أحلّه رسول الله صلى الله عليه وآله أو ما حرّمه، و القرآن و السنة النبوية الصحيحة يصدّقان الأئمّة عليهم السلام في كلّ ما يحللونه أو يحرّمونه، لأنّه نطقٌ عن الله و عن رسوله صلى الله عليه وآله.

و التفويض إليهم عليهم السلام في الحلال و الحرام ـ كأوصياء للرسول صلى الله عليه وآله ـ هو عين التفويض لرسول الله صلى الله عليه وآله، الذي فوّض الله إليه في ذلك التفويض التام في قوله تعالى: **«و ما آتاكم الرسول فخذوه، و مانهاكم عنه فانتهوا»**[1] لأنّ مشيئته مشيئة الله و قوله قول الله **«و ما ينطق عن الهوىٰ إنْ هو إلاّ وحيٌ يوحىٰ»**[2]

و المتأملّ بدقّة في آية التفويض إلى سليمان عليه السلام: **«هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»**[3] يجد في قوله تعالى **«عطاؤنا»** ـ و ليس عطاءك ـ ما يشعر بالقيوّميّة الالهيّة و الإشاءة الربانيّة المهيمنة على هذا التفويض، فهذا التفويض المراد هنا ليس هو التفويض المقصود به التعطيل الذي ذهبت إليه اليهود بقولهم **«يدُ الله مغلولة، غُلّتْ أيديهم و لُعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء»**[4]

و سنفصّل القول في التفويض الممكن و التفويض الممتنع في الردّ التفصيلي على مباحث كتاب القفاري إن شاء الله تعالى.

١- سورةالحشر: الآية ٧.
٢- سورة النجم: الآية ٣ و ٤.
٣- سورة ص: الآية ٣٩.
٤- سورةالمائدة: الآية ٦٤.

النموذج السادس:

هل الناس جميعا عبيد للأئمة عليهم السلام؟

و قال القفاري: «و الشيعة حينما اعتقدت في أئمّتها أنّهم جهة تشريع أكملت ذلك بدعواها أنّ النّاس جميعاً عبيد للأئـمّة لتـتضح صورة الشرك أكثر! قال الرضا: «**النّاس عبيد لنا في الطاعة، موالٍ لنا في الدين، فليبلّغ الشاهد الغائب.**» مع أنّ اللّه سبحانه يقول: «**ما كان لبشرٍ أن يؤتيه الله الكتاب و الحكم و النبوّة ثمّ يقول للنّاس كـونوا عباداً لي من دون الله**»[1] فالنّاس جميعاً عبيدللّه وحـده لالأحـد سواه، و لوكان من عباد اللّه المرسلين الذين آتـاهم اللّـه الكـتاب و الحكم و النبوّة، فكيف بأئمّة الشيعة، أو من تدعّي فيه الإمامة!؟»[2]

الملاحظة:

إنّ القفاريّ أراد أن يستفزّ القاري السنّي ضـدّ الشـيعة بـهذه المقولة التي تعمّد فـيها أيـضاً أن يـحرّف كـلام الإمـام الرضـا عليه السلام باقتطاعه جزءً منه و تركه الجزء الآخر الذي يتمّ به مراد الإمام عليه السلام.

كما كشف القفاريّ بهذه المقولة الساذجة عن جهله بـالمعنىٰ القرآني للعبودية، و عـن عـدم إحـاطته حـتّىٰ بأوليّـات المـعاني الإعتقادية!

١- سورة آل عمران: الآية ٧٩

٢-كتاب أصول مذهب الشيعة: ٢: ٢٨٩

لقد راجعنا ـ المصدر الذي أخذ عنه القفاري هذا النصّ كما أشار إليه في حاشية كتابه ـ و هو كتاب الأمالي[١] للشيخ المفيد رحمه الله، و بحارالأنوار[٢] نقلاً عن الأمالي، فوجدنا أنّ النصّ الكامل لقول الإمام الرضا عليه السلام و هو يخاطب جماعة من بنى هاشم في خراسان، منهم إسحق بن العبّاس بن موسىٰ،[٣] هو: «**يا إسحاق، بلغني أنكم تقولون: أنّا نقول: إنّ الناس عبيدلنا! لا و قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ما قلته قطّ، و لاسمعته من أحدٍ من آبائي، و لابلغني عن أحدٍ منهم قاله، لكنّا نقول: النّاس عبيد لنا في الطاعة، موالٍ لنا في الدّين، فليبلّغ الشاهد الغائب**».

فالإمام عليه السلام في هذا النصّ الكريم يفرّق بين نوعين من العبودية، فينفي عنه و عن آبائه عليهم السلام القول بأنّ الناس عبيد لهم (عبودية الخلقة)، و يقرّر القول بأنّ الناس عبيدلهم (عبودية الطاعة)، و هي غير تلك الأولىٰ.

و قوله عليه السلام بأنّ النّاس عبيد لهم في الطاعة، يعني: وجبت عليهم طاعة أئمّة أهل البيت عليهم السلام كما تجب على العبد طاعة السيّد، فهم عبيد لهم بهذا الإعتبار، و إطلاق العبد علىٰ التابع شائع كما يقول: فلان عبد

١-كتاب الأمالى / للشيخ المفيد: ٢٥٣ المجلس ٣٠ حديث رقم ٣

٢-بحارالأنوار: ٢٥: باب نفي الغلوّ في النبي و الأئمّة عليهم السلام : ص ٢٧٩ عن أمالي المفيد و أمالي الطوسي

٣-الظاهر كونه: إسحاق بن موسىٰ بن عيسىٰ العبّاسي كما في الكافي (في باب فرض طاعة الأئمّة عليهم السلام) فصحّف، و هو إسحاق بن موسىٰ بن عيسىٰ بن موسىٰ بن محمّد بن علي بن عبدالله بن العبّاس.

لهواه، أو عبد للشيطان.

و لقد قرّر القرآن الحكيم أنّ الطاعة و الإنقياد عبودية، فإنْ كانت طاعة لمن أمر اللّه بطاعته فهي طاعة للّه، ألم تسمع لقوله تعالى عن لسان موسىٰ: «**قال ربّ انّي لاأملك إلاّ نفسي و أخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين**»،[1] فإنّ موسىٰ عليه السلام لايملك هارون عليه السلام، و لايكون هارون عليه السلام ـ و هو حرٌّ ـ مملوكاً لموسىٰ عليه السلام إلاّ باعتبار الطاعة التامة و الإنقياد الكامل له، و هذا من أوضح مصاديق عبودية الطاعة.

و إنْ كانت طاعة لمن لم يأمر اللّه بطاعته و نهىٰ عن الانقياد له فهي شرك باللّه، ألم تسمع لقوله تعالى: «**و إنْ أطعتموهم إنكم لمشركون**»[2]

و الشيعة ـ يا أيها القفاريّ ـ إنّما تطيع أئمّة أهل البيت عليهم السلام و تنقاد لأمرهم و تمتثل قولهم طاعة للّه تبارك و تعالى و لرسوله صلى الله عليه وآله، لما عندهم من الأدلّة القطعية على ذلك من القرآن و السنّة النبويّة الصحيحة، فهي إذن طاعة للّه و لرسوله أصلاً.

فافهم يا قفاريّ، و خذ التوحيد من عين صافية!

النموذج السابع:

العلاّمة الأميني رحمه الله و القول بتحريف القرآن!

زعم القفاري أنّ العلاّمة الأميني رحمه الله ـ مؤلّف كتاب الغدير ـ

١- سورة المائدة: الآية ٢٥

٢- سورة الأنعام: الآية ١٢١

و إنْ كان قد أنكر القول بتحريف القرآن في كتابه الغدير، ج٣، ص٩٣ إلاّ أنّه قد اعترف بوقوع التحريف في القرآن، فيكتابه الغدير، ج٩، ص٣٨٨، لأنه قال يصف بيعة السقيفة: «.. بيعة عمّت شؤمها الإسلام، و زرعت في قلوب أهلها الآثام... و حرّفت القرآن و بدّلت الأحكام»[١]

و زعم القفاري أنّ الأميني قد «أورد آية مفتراة في نفس الكتاب»!![٢]

و نصّ هذه الآية المزعومة: «اليوم أكملتُ لكم دينكم بإمامته، فمن لم يأتمّ به و بمن كان من ولدي من صلبه إلىٰ القيامة فأولئك حبطت أعمالهم و في النار هم خالدون، إنّ إبليس أخرج آدمعليه السلام من الجنّة مع كونه صفوة اللّه بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم و تزلّ أقدامكم...»[٣]

الملاحظة:

بعد مراجعة كتاب الغدير، ج١، ص ٢١٤ ـ ٢١٦ حسب إشارة القفاري ـ وجدنا أنّ ما زعم هذا القفاري أنه آية مفتراة كان جزءً من متن رواية[٤] نقلها الأميني عن كتاب (الولاية في طرق حديث الغدير) للمؤرّخ و المفسّر المعروف الحافظ محمّد بن جرير الطبري

١-كتاب أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٢٠٠: ١٢٠١
٢- نفس المصدر.
٣- نفس المصدر.
٤- رواها الطبري بإسناده عن زيدبن أرقم، عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله

المتوفىٰ سنة ٣١٠ هـ ق، و كان هذا الجزء من الرواية مفسّراً لقوله تعالىٰ: «اليوم أكملت لكم دينكم...»[١]

فعلمنا أنّ مازعمه هذا القفاري كان محض كذب و افتراء!![٢]

١- سورة المائدة: الآية ٣.

٢- و لم يكتف القفاريّ بفريته علي الإميني رحمه الله بل قال في الحاشية: «و مع ذلك يزعم هذا الرافضي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنها نزلت في عليّ، و حاول أن يموّه و يخدع القرّاء فنسب هذا الإفتراء لمحمدبن جرير الطبري السنّي، و هو محمّد بن جرير الطبري الرافضي إنْ صحّت النسبة إليه، فالرجل افترىٰ على الله و كتابه و رسوله و أئمة المسلمين». و بهذا يناقض القفاري نفسه في زعم كون ذلك آية مفتراة أوردها الأمينى رحمه الله! كما يكشف عن سقم فهمه و قلّة عقله و عدم ورعه العلمي حيث تسرّع بلا تثبّت و تدقيق فرفض أن تكون هذه الرواية ممّا رواه الطبري السنّي، ثمّ رجم بالغيب من مكان بعيد فنسبها إلى الطبري الشيعي بلا دليل!

***: الإفتراء على الشيعة الإمامية و اتهامهم بماليس فيهم!**

و من الأساليب التي اعتمدها ناصر القفاري تعمّداً في كتابه «أصول مذهب الشيعة» للتشنيع على الشيعة الإماميّة، أسلوب الإفتراء عليهم و اتهامهم بماليس فيهم!، إذ لم يكتف بتقطيع روايات أهل البيت عليهم السلام و تحريف معانيها الحقيقية حتّىٰ تجرّأ على ارتكاب ما لايرتكبه العوام من المسلمين ممّن يخاف الله و اليوم الآخر، حيث اتهمهم بالشرك و البدعة في الدين، و نسب إليهم مالايرتضيه عوام الشيعة فضلاً عن علمائهم! و إليك القليل من كثير من هذه الإفتراءات والتهم:

١ـ الإستشفاء بتراب قبرالحسين عليه السلام من دون ربّ الأرباب!

قال ناصرالقفاري في الجزء الثاني و في الصفحة ٥٩٤:

«تقول الشيعة ـ مخالفة بذلك النقل و العقل، و الطبّ و الحكمة ـ بأنّ تربةالحسين هي الكفيلة لشفاء الأدواء و الأسقام بشتّىٰ أنواعها و أشكالها، و كأنّهم بهذا اعتقدوا فيما لاينفع بالحسّ و المشاهدة، و بالطبع و العقل، إعتقدوا فيه النفع، و زعموا أنّ الشفاء يتحقق من

تراب قبر لا من ربّ الأرباب!»

ثمّ ينقل القفاري دعاءً عندالإستشفاء بالتراب في ص ٥٩٥ قائلاً:

«ثمَّ يقوم و يتعلّق بالضريح و يقول: يا مولاي، يابن رسول‌الله، إني آخذٌ من تربتكَ بإذنك، أللّهمّ فاجعلها شفاء من كلّ داء، و عزّاً من كلّ ذل، و أمناً من كلّ خوف، و غنىً من كلّ فقر».

و نعلّقُ على هذا فنقول:

إنّ الشيعة لو كانت تعتقد بأنّ التراب وحده يشفي المريض علىٰ نحو الإستقلالية في الأثر التكويني بلا إرادة و إذن من الله تبارك و تعالىٰ لكان هذا شركاً صريحاً، تماماً كالإعتقاد بأنّ الدواء الذي يصفه الطبيب للمريض يشفي ذلك المريض على نحو الإستقلالية بلاإرادة و إذن من الله تبارك و تعالى!

و لكن أنّىٰ هذا من اعتقاد الشيعة الحقّ!؟ إنّه افتراء عليهم و تهمة تعمّد إلصاقها بهم الجهلة الحاقدون عليهم و على مذهب أهل البيت عليهم‌السلام!

فمتىٰ كانت الشيعة تعتقد بأنّ التراب يشفي المريض على نحو الإستقلالية!؟ هذه كتب علمائهم، بل فاسأل عامة الشيعة، هل ترىٰ فيهم أحداً يعتقد بأنّ الشفاء ليس من الله سبحانه بل من التراب!؟

ولو كان الأمر كما يزعم القفاري لتساوىٰ عندالشيعة تراب الأرض كلّها، و تراب القبور كلّها، فلافرق ـ حينئذٍ ـ بين أيّ قبر و بين قبر سيّد شباب أهل الجنّة، ريحانة رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، سيّد الشهداء الإمام

الحسين بن عليّ عليه السلام الذي بذل مهجته في الله عزّوجلّ ليستنقذ عباده من الجهالة و حيرة الضلالة، و ليفضح المتقمصّ الخلافة بلااستحقاق، الطاغية الظالم الفاجر، الغاصب لمنصب رسول الله صلى الله عليه وآله، يزيد بن معاوية الذي كان معلناً بالفجور و الفسوق و الملاهي و شرب الخمور.

إنّ اعتقاد الشيعة بأنّ الشفاء في تربة الحسين عليه السلام لم ينشأ إلاّ من الدليل المعتبر عندهم الدالّ علىٰ أنّ الله تبارك و تعالى القادر على كلّ شيء، الذي جعل الشفاء في الأدوية و الأعشاب، هوالذي جعل الشفاء في تربة الحسين عليه السلام إكراماً لسيّدالشهداء و ريحانة رسول الله، و تعويضاً له ـ في جملة ما عوّضه به ـ عن استشهاده و مظلوميته و ما لاقىٰ من الرزايا العظمىٰ و المصائب المفجعة في سبيل الله يوم الطفّ، و الله على كل شيء قدير، يختصّ برحمته من يشاء و هو ذو الفضل العظيم.

أفلم يجعل الله تبارك و تعالى شفاء يعقوب عليه السلام في قميص ابنه يوسف عليه السلام حين ألقاه البشير على وجهه فارتدّ بصيراً؟

فهل يتوهم أحدٌ أنّ القميص شافىٰ يعقوب عليه السلام من دون الله؟ كلاّ و حاشا! و العجب أنّ ناصر القفاري نفسه نقل الدعاء مع جملته التي فيها تصريح بأنّ الشفاء بإذن الله لامن دون الله: «**بإذنك اللّهم فاجعلها شفاء من كلّ داء**»، فكيف عمي أو تعامىٰ عن أنّ الداعي بهذا الدعاء معتقدٌ بأنّ الله تبارك و تعالىٰ هوالمؤثر بالأصل لاغيره، و هو الذي جعل الشفاء في هذه التربة الحسينية المقدّسة كما جعل بإذنه

سائر الآثار في الأشياء!؟

و هذا لايوجب الشرك ـ كما زعم القفاري! ـ قطعاً، و إلاّ لأصبح العالم كلّه مظاهر للشرك بالله سبحانه! لأن الله تبارك و تعالىٰ جعل الأمور بأسبابها، و من الأسباب اللوازم الطبيعية لكلّ موجود، و من الأسباب أفعال الملائكة في تدبير سنن هذا الكون، و الملائكة عمّال الله تبارك و تعالى، مأمورون من قبله، فهل يتوهم أحدٌ من أهل الإيمان أنّ الملائكة قادرة علىٰ ذلك من دون الله، أو أنها لاتحتاج إلى إذنه في كل أمر من أمور التدبير!؟

كيف لايكون الإستشفاء بواسطة الطبيب و الدواء شركاً عند أمثال القفاري، و يكون الإستشفاء بتراب قبر الامام الحسين عليه السلام بإذن الله شركاً!؟

٢ـ هل تتّخذ الشيعة قبور أئمّتهم قِبلة!؟

و قال القفاريّ أيضاً في الجزء الثاني من كتابه في ص ٥٧٤:

«قال شيخ الشيعة المجلسي: إنّ استقبال القبر أمرٌ لازم، و إنْ لم يكن موافقاً للقبلة... و استقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة، و هو وجه الله أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة».

و قال القفاري أيضاً في الجزء الثالث ص ١٢٩٣ ـ ١٢٩٤:

«و قد ذكر صاحب التحفة الإثناعشرية بأنّهم لايزالون يغلون في قبور الأئمة و يطوفون حولها، بل و يصلّون إليها مستدبرين القبلة! إلى غير ذلك من الأمور التي يستقلّ لديها فعل المشركين مع

أصنامهم.

ثمّ قال: إنْ حصل لك ريب من ذلك فاذهب إلىٰ بعض مشاهدهم لترىٰ الحقيقة بعينك!»*

و نقول:

إنّ هذا افتراء بحت و كذب محض! فهذه بلاد الشيعة و مشاهدهم المشرّفة و مساجدهم العامرة، هل رأىٰ أحدٌ من الناس عامة و من المسلمين خاصة أحداً من المسلمين الشيعة يصلّي إلىٰ غير القبلة (جهة الكعبة المشرّفة في المسجد الحرام)!؟ أو سُمع أنّ أحداً من مجتهديهم و مراجعهم في التقليد و علمائهم يُفتي بذلك أو يرخّص لهم به!؟

بل جميعهم بلااستثناء يرون الصلاة إلىٰ غير جهة القبلة صلاة

---

*ـ و يحسنُ هنا أن ننقل نماذج من أقوال علماء أهل السنّة في هذه المسألة:

أ) فتوىٰ مالك: حينما سأله المنصور: «أستقبل القبلة و أدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ فقال: و لِمَ تصرف وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة أبيك آدم إلىٰ الله تعالى يوم القيامة؟! بل استقبله و استشفع به فيشفعك الله تعالىٰ...».(راجع: وفاء الوفاء: ٤: ١٣٧٦ / للسمهودي / دار إحياء التراث العربي / و المواهب اللدنيّة: ٣: ٤٠٩ / للقسطلاني / دارالكتب العلمية).

ب) و قال السمهودي «و عن أصحاب الشافعي يقف و ظهره إلىٰ القبلة و وجهه إلىٰ الحظيرة، و هو قول ابن حنبل».(راجع: وفاء الوفاء: ٤: ١٣٧٨).

ج) و قال الخفاجي: «استقبال وجهه ﷺ و استدبار القبلة مذهب الشافعى و الجمهور، و نقل عن أبي حنيفة».(راجع: شرح الشفا: ٣: ٥١٧ / للملّا علي القاري).

د) ابن الهمام محقّق الحنفيّة: «ما نقّل عن أبي حنيفة أنه يستقبل القبلة مردود بما روي عن ابن عمر: من السنّة أن تأتي قبر رسول الله من قبل القبلة و تجعل ظهرك إلىٰ القبلة و تستقبل القبر... و هو الصحيح من مذهب أبي حنيفة... و قول الكرماني: إنّ مذهبه بخلافه، ليس بشيء، لأنّه حيّ في ضريحه، يعلم بزائره، و من يأتيه في حياته إنّما يتوجّه إليه».(المصدر السابق).

باطلة (مع إمكان الإستقبال، في الفرائض يوميّة كانت أو غيرها، و في النافلة إذا أتىٰ بها المصلّي علىٰ الأرض حال الاستقرار، و أمّا النافلة حال المشي و الركوب و في السفينة فلايعتبر الإستقبال واجباً فيها».[١]

نعم، إنّ الشيعة ـ بل عامة المسلمين ـ تعنىٰ عناية شرعية فائقة و تهتمّ اهتماماً كبيراً بزيارة قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام كعنايتها و اهتمامها بزيارة قبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، و ذلك لأنهم عليهم السلام أولياء الله الأعاظم، و أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، قد اصطفاهم الله بالإمامة، و قد وردت في شأنهم آيات قرآنيّة عديدة كاشفة عن مقامهم المحمود و منزلتهم الرفيعة عندالله تعالى، مثل آية المودّة: **«قل لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربىٰ»**[٢]، و آية المباهلة: **«فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين»**.[٣]

و كذا الأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في علوّ شأنهم و سموّ مقامهم و تفضيلهم عندالله تعالى، مثل حديث الثقلين الذي تسالمت الأمّة جمعاء على تواتره و قطعية صدوره.

و من نافلة القول التذكير بأنّ هذا التكريم و التعظيم ليس بسبب

١- تحرير الوسيلة: ١: ١٤١ مسألة رقم ١ (المقدمة الثانية في القبلة).
٢- سورة الشورى: الآية ٢٣.
٣- سورة آل عمران: الآية ٦١.

اعتقاد بألوهيتهم، و العبودية لهم أرباباً من دون الله ـ و العياذ بالله ـ بل لتكريم الله و تعظيمه إيّاهم!

و لهذا السبب نرىٰ أيضاً أنّ كثيراً من أهل السنّة ـ ممّن يحبّون أهل البيت عليهم السلام و يرون لهم حق و حرمة القربىٰ من رسول الله صلى الله عليه وآله ـ يزورون قبورهم في الأزمان الغابرة و في أيّامنا الحاضرة. كابن حبّان و ابن خزيمة و أبى علي الخلّال و غيرهم كثير.

نعم، الشيعة تزور قبر النبيّ صلى الله عليه وآله و قبور الأئّمة الأطهار عليهم السلام، و من الطبيعي أنّ الزائر يتوجّه حين الزيارة إلىٰ القبر،[1] سواء كان الزائر أثناء الزيارة متوجهاً نحو القبلة أو لم يكن، و بعد الزيارة يصلّي الزائر ركعتين لله تبارك تعالى، و يهدي ثوابها إلى صاحب القبر الشريف، و تسمّىٰ بصلاة الزيارة، و لاشك أنّ الزائر يصلّي هاتين الركعتين و هو مستقبل القبلة ـ لا القبر ـ كما يستقبلها في الفرائض و النوافل.

فهل استقبال القبر حين الزيارة شرك!؟

و هل يمكن أن يتفوّه بهذا مسلمٌ عارف بأحكام الصلاة!، فما بالك بمن يدّعي العلم و يرىٰ نفسه من أهل الفضيلة العلمية!؟

إنّ جميع فقهاء الشيعة يرون أنّه يجب استقبال القبلة مع الإمكان في الفرائض يوميّة كانت أو غيرها، و كذلك يجب استقبال القبلة في النافلة إذا أتىٰ بها المصلّي علىٰ الأرض حال الاستقرار، و ليراجع ـ من يشك بهذا ـ جميع الرسائل العملية الفقهية لفقهاء الشيعة الإمامية.

١- كما هو فتوىٰ مالك في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم (راجع المواهب اللدنيّة: ٣: ٤٠٩ / للقسطلاني / دار الكتب العلمية).

و من المعلوم بالقرينة أنّ كلام المجلسي ﵀ ناظر إلىٰ استقبال القبر حين الزيارة لاأثناء الصلاة، و يشهد بذلك ذكره التحوّل الىٰ اليسار لزيارة قبر عليّ بن الحسين ﵇، ذلك لأنّه لايمكن أن يتوهّم أحدٌ أنّ التحوّل إلىٰ اليسار يكون أثناء الصلاة! و كلام المجلسي ﵀ في نفسه واضح جليّ، و لايذهب إلى حمل كلامه ﵀ على لزوم استقبال القبر أثناء الصلاة إلاّ من يريد تعمّد الإفتراء عليه!

فما أجرأ ناصر القفاريّ علىالله و رسوله و على عباده الصالحين!؟

٣ـ هل الشيعة هم الذين أحدثوا الشرك في أمّة محمد ﷺ؟

و قال هذا القفاري فى الجزء الثالث من كتابه في ص ١٤٣٤:

«لقد كان لعقيدتهم في الإمامة و الإمام الأثر الواضح في إحداث الشرك و الشركيات في العالم الإسلامي، بل قررّ طائفة من أهل العلم أنّ الشيعة هم أوّل من أحدث الشرك و عبادة القبور في الأمة المحمّدية، فقد تحوّل غلوّ الشيعة في أئمتها إلىٰ غلوّ في قبورها، و وضعوا روايات لمساندة مسيرتهم الوثنيّة».

ثمّ أيّد ما اتّهم به الشيعة بقول ابن تيمية[١] فقال:

١ـ إبن تيمية: هو أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن تيمية ولد سنة ٦٦١ هـ في مدينة حرّان في الشام، و توفي سنة ٧٢٨ هـ بسجن القلعة في دمشق، دخل السجن ثلاث مرّات بسبب عقائده الناشزة عن عقائد المسلمين و فتاواه الغريبة، عاش ٦٧ سنة و لم يتزوّج (خلافاً للسنّة النبويّة!)

←

← ولم يذكر هو و لاأحد غيره السرّ في عزوفه عن الزواج!.. أصبح فيما بعد الإمام الذي تنتسب إليه الفرقة الوهابية، و هي التي جدّدت عقائده و أفكاره الداثرة و روّجت لها!

من أفكاره في زيارة قبر النّبيﷺ و قبور الأنبياء و الصالحين: «ليس عن النّبي في زيارة قبره و لاقبر الخليل حديثاً ثابتاً أصلاً» و قال أيضاً: «و الأحاديث الكثيرة المرويّة في زيارة قبره كلها ضعيفة بل موضوعة، لم يرو الأئمة و لاأصحاب السنن المتّبعة منها شيئاً!» (راجع: كتاب الزيارات: ١٢ـ ١٣ و نفس المصدر: ٢٢ ـ ٣٨)

و يرى ابن تيميّة أنّ جميع ماورد في الصفات من الآيات و الأحاديث يجب أن تُفهم علي ظاهرها و ما يؤدّيه اللفظ من معنىٰ بلا تأويل! و علىٰ هذا قال: «إنّ الله تعالى في جهة واحدة هي جهة الفوق، و هو في السماء مستوٍ على العرش و قد امتلأ به العرش، و إنّه ينزل إلى السماء الدنيا ثم يعود، و إنّ لهُ أعضاء و جوارح من عين و أيدي و أرجل»(راجع: منهاج السنة / إبن تيميّة: ١: ٢٥٠ و ٢٦٠ و ٢٦١)

وكان مبغضاً لأهل البيتعليهم السلام عامة و لعليّعليه السلام خاصة، وكان يناصبهم العداء، و يميل ميلاً تاماً لأعدائهم، و قد صنّف كتاباً إسمه (فضائل معاوية،و في يزيد و أنّه لايُسبّ) هذا مع أن السلف من هذه الأمة كانوا لايعرفون فضيلة واحدة لمعاوية.

و قد نقل الذهبي أنّه قيل للنسائي ـ بعد أن صنّف في فضائل الصحابة ـ ألا تخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شيء أخرج!؟ حديث «أللهم لاتُشبع بطنه»؟ فسكت السائل. (راجع سير أعلام النبلاء / للذهبي: ١٤: ١٢٩ / مؤسسة الرسالة).

و من بغض ابن تيمية لأميرالمؤمنين عليّعليه السلام أنه كان يقول: «عليّ إنّما قاتل الناس علىٰ طاعته لا علىٰ طاعة الله!!.. فمن قدح في معاوية بأنه كان باغياً قال له النواصب: و عليّ أيضاً كان باغياً ظالماً.. قاتل الناس على إمارته وصال عليهم...فمن قتل النفوس علىٰ طاعته كان مريداً للعلوّ في الأرض و الفساد، و هذا حال فرعون!!»(راجع: منهاج السنة: ٢: ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٣٢)

و يكشف عن تحجّره و قلّة عقله فيقول بصدد قيام الإمام الحسينعليه السلام ضد يزيد: «هذا رأي فاسد، فإنّ مفسدته أعظم من مصلحته، و قلّ من خرج علىٰ إمام ذي سلطان إلاّ كان ما تولّد على فعله من الشرّ أعظم مما تولّد من الخير!!» (راجع: منهاج السنّة: ٢: ٢٤١)، ثم يهذي فيقول معتذراً ليزيد: «و يزيد ليس بأعظم جرماً من بني إسرائيل، كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء، و قتل الحسين ليس بأعظم من قتل الأنبياء!» (منهاج السنة: ٢: ٢٤٧)

و لقد انقسم علماء أهل السنة في رأيهم بابن تيميّة إلى أقسام، فمنهم من نسبه إلى التجسيم لقوله: إنّ اليد و القدم و الساق و الوجه صفات حقيقية (لله!)، و إنّه مستوٍ ←

«قال شيخ الإسلام ابن تيمية: و أوّل من وضع هذه الأحاديث في

➜على العرش بذاته! و منهم من نسبه إلى الزندقة لقوله: إنّ النبي صلى الله عليه وآله لايستغاث به! و منهم من نسبه إلى النفاق لقوله في علي: إنه كان مخذولاً حيثما توجّه و إنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها! و إنّه قاتل للرئاسة لاللديانة و لقوله: إنّه كان يحبّ الرئاسة، و إنّ عثمان يحب المال. و لقوله: عليّ أسلم صبيّاً و الصبيّ لايصحّ إسلامه! فألزموه بالنفاق لقول النّبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «و لايبغضك إلاّ منافق».

ثم لخصّ القول في ابن تيمية ابن حجر العسقلاني قائلاً:

«ابن تيمية عبدٌ خذله الله و أضلّه و أعماه و أصمّه و أذلّه...» و قال أيضاً: «الحاصل أن لايقام لكلامه وزن، و أن يرمى في كلّ و عرٍ و حزن... و يعتقد فيه أنّه مبتدع ضالّ مضلّ غالٍ، عامله الله بعدله، و أجارنا الله من مثل طريقته و عقيدته و فعله، آمين.» (راجع: الفتاوى الحديثية: ٨٦).

و من معاصريه الذين كتبوا إليه ينصحونه و يلومونه و يقرّعونه المحدّث و المؤرخ و الرجالي المعروف شمس الدين الذهبي، و كان من جملة ما كتب إليه في نصيحته:

«.. يا خيبة من اتّبعك فإنّه معرّض للزندقة و الإنحلال، لاسيّما إذا كان قليل العلم و الدين.. فهل معظم أتباعك إلاّ قعيد مربوط خفيف العقل!؟ أو عاميّ كذّاب بليد الذهن!؟ أو غريب واجم قويّ المكر!؟ أو ناشف صالح عديم الفهم... يا مسلم! أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلي كم تصادقها و تعادي الأخيار!؟ إلى كم تصادقها و تزدري الأبرار!؟ إلى كم تعظّمها و تصغرّ العباد!؟ إلى كم تخاللها و تمقت الزهّاد!؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لاتمدح ـ و الله ـ بها أحاديث الصحيحين!؟ يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك! بل من كلّ وقت تغير عليها بالتضعيف و الاهدار، أو بالتأويل و الإنكار...» (راجع: الوهابية دعاوىٰ و ردود / للشيخ نجم الدين الطبسي: ٥ و ٦ / نقلاً عن تكملة السيف الصقيل للكوثري: ١٩٠ ـ كتبه من خطّ قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة، وكتبه هو من خطّ الشيخ الحافظ أبي سعيد ابن العلائي، و قد كتبه من خطّ الذهبي، و ذكر شطراً منه العزامي في الفرقان: ١٢٩ / و انظر الغدير: ٥: ٨٩.

و قال الشيخ الطبسي: هذا و قد حاول البعض إنكار هذه الرسالة و نفي صدورها عن الذهبي، و لكنها محاولة يائسة بلاطائل.)

و لعلّ هذه الرسالة هي الرسالة المسمّاة «النصيحة الذهبية لابن تيميّة» التي أرسلها الذهبي إليه يلومه فيها و ينتقد بعض آرائه و آراء أصحابه بها، و نشرت في دمشق سنة ١٣٤٧ هـ (راجع: سير أعلام النبلاء: ١: ٣٨ في المتن و الحاشية / مؤسسة الرسالة).

السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الروافض و نحوهم، الذي يعطّلون المساجد و يعظّمون المشاهد التي يشرك فيها و يكذب فيها و يبتدع فيها دين لم ينزّل الله به سلطاناً، فإنّ الكتاب و السنّة إنّما فيهما ذكرالمساجد دون المشاهد.»

و نقول: لناعدّة ملاحظات على هذالكلام...

الملاحظة الأولى:

لاتكون زيارة المشاهد المشرّفة و قبور الأئّمة شركاً و بدعة إلاّ إذا كان الزائر يدعو فيها غيرالله، دعاء العبادة، أمّا إذا كان الزائر لايدعو فيها إلاّ الله وحده، و لايُنزل صاحب القبر إلاّ المنزلة التي أنزله الله و رسولهﷺ، و لايتوسل بأصحاب هذه القبور المقدّسة إلاّ لأنهم أفضل الوسائل إلى الله تبارك و تعالى، و قد أمره الله في كتابه الناطق بالحقّ أن يبتغي إليه الوسيلة[1]، و ما يعظّمهم إلاّ لأنهم أولياءالله و أصفياؤه و أودّاؤه و أوصياء نبيّهﷺ، فإنّ هذا ليس من الشرك في شيء، بل هو من صميم التوحيد في الإعتقاد و العمل!

و قد جرت السيرة المطّردة منذ صدر الإسلام في عصر الصحابة الأولين و التابعين لهم بإحسان علىٰ زيارة قبور تضمّنت في كنفها نبيّاً مرسلاً أو إماماً طاهراً أو ولياً صالحاً أو شهيداً عظيماً، و في مقدّم تلك القبور قبر النبي الأقدس محمدﷺ .

١- سورة المائدة: الآية ٣٥: «يا أيهاالذين آمنوا اتّقواالله و ابتغوا إليه الوسيلة...»

الملاحظة الثانية:

لقد افترىٰ ابن تيمية الكذب على الشيعة ـ و تبعه على ذلك القفاري ـ بأنّهم أوّل من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد! مع أنّ أحاديث زيارة قبر النبي ﷺ و السفر لزيارة المشاهد و السفر لزيارة قبره الشريف كثيرة، منها على سبيل المثال:

ما أخرجه الدارقطني بإسناده في السنن عن عبدالله بن عمر مرفوعاً:

« من زارني إلىٰ المدينة كنت له شهيداً و شفيعاً.»[1]

الملاحظة الثالثة:

إنّ عدم ذكر المشاهد المشرّفة في القرآن الكريم لايدلّ على أنّ زيارتها بدعة، و إلاّ لوجب القول بكون زيارة قبر النبي ﷺ بدعة أيضاً، و كذا زيارة المسجد النبوي الشريف، و الصلاة فيه، و كلّ عمل لم يُذكر في القرآن بدعة أيضاً!! و هذا ممّا لانظنّ ابن تيمية و القفاري و أمثالهم يلتزمون به!

هذا مع أنّ زيارة قبر النبي ﷺ و قبور الأولياء و العلماء و عبادالله

١ـ راجع: وفاءالوفاء / المجلّد ٣ / ج ٤ / ص ١٣٤٢ / ح ٦ / دار الكتب العلمية (بيروت / ط ١٤٠٤ هـ ق)، و في سنن الدار قطني / المجلّد ١ / ج ٢ / ص ٢٧٨ / دار المحاسن ـ القاهرة / عن عبد الله بن عمر، عن النبي ح ١٩٤: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»، و فيه ايضا: ص ٢٢٨ / ح ١٩٢ عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: «من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي».

الصالحين بل قبور المؤمنين كافة أمر مستحبٌ عند طوائف المسلمين:

هذا الشافعي يقول في فقهه:ج ١ ص ١٢٤: «و يستحبّ للرجال زيارة القبور»

و قال الشيخ زين‌الدين الشهير بابن نُجيم المصري الحنفي في البحر الرائق شرح كنز الدقائق للإمام النسفي /ج ٢ ص ١٩٥: «قال في البدايع: لابأس بزيارة القبور و الدعاء للأموات إن كانوا مؤمنين، من غير وطأ القبور لقوله ﷺ: **«أنى كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور!؟ ألا فزوروها.»** و لعمل الأمّة من رسول الله ﷺ إلىٰ يومنا هذا، و قد صرّح في المجتنىٰ بأنّها مندوبة»

أمّا ابن حجر المكّي الهيثمي فلمّا سُئل عن زيارة قبور الأولياء في زمن معيّن هل تجوّزها و هل تجوز الرحلة إليها؟ أجاب بقوله «زيارة قبور الأولياء قربة مستحبّة، و كذاالرحلة إليها، و قول الشيخ أبي محمّد لاتُستحبّ الرحلة إلاّ لزيارته ﷺ، ردّه الغزالي بأنّه قاس ذلك على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة مع وضوح الفرق.»[١].

هذا على سبيل المثال، و لغير هؤلاء من أعلام علماء أهل السنّة تصريحات كثيرة في هذا الصدد لايسعنا في هذا المختصر أن نذكرها.

١- راجع: الفتاوى الكبرىٰ الفقهية: ٢: ٢٤ / و للذهبي فى الرّد على ابن تيمية بيان مهم جداً، فراجعه في (سير أعلام النبلاء: ٤: ٤٨٤ / مؤسسة الرسالة).

الملاحظة الرابعة:

لقد ادّعىٰ ابن تيمية أنّ الروافض و نحوهم يعطلون المساجد! و يعظّمون المشاهد التي يُشرك فيها و يكذب فيها و يبتدع فيها دينٌ لم يُنزّل الله به سلطاناً!!

و ما أسهل إثبات فساد هذه الدعوىٰ! إذ إنّ الشيعة منتشرون في العالم، و هذه بلدانهم و مدنهم، و تلك مساجدهم فهل هي معطّلة!؟ بإمكان كلّ من يريد معرفة الحقيقة أن يرحل إلىٰ بلاد الشيعة مثل لبنان و سوريا و العراق و إيران و بعض مدن الحجاز و باكستان و افغانستان و غيرها ليشاهد بعينيه مساجدهم و حضورهم أوقات الصلاة لإقامة الفرائض جماعة، و اجتماعاتهم فيها أيّام و ليالي المناسبات الدينية، و اعتكافهم فيها للعبادة في الأيام البيض من شهر رجب و شعبان و رمضان المبارك، و عقدهم الاحتفالات الدينية لمولد النبيّ صلى الله عليه وآله ، و مواليد العترة الطاهرة عليهم السلام الذين أذهب الله الرجس عنهم وطهّرهم تطهيراً،وإقامة المآتم لوفياتهم عليهم السلام، وغير ذلك.

فهل هذا الإعتناء الفائق الشامل، و حضور العدد الهائل منهم في المساجد يسمىٰ تعطيلاً لها!؟

ما أنصف ابن تيمية في دعواه هذه. و لاأنصف الناقل لها فى نقلها!

نعم، إنّ الشيعة تُعظّم المشاهد المشرّفة لأنها تضمّنت في كنفها قبور العترة الطاهرة التي شهد الكتاب بطهارتها و فضلها في مثل آية

التطهير[١] و آية المباهلة[٢] و آية التبليغ[٣] و غيرها من الآيات القرآنية التي أحصاها بعض المحدّثين و المؤلّفين فناف عددها على المائة، و كذا شهدت السنّة الصحيحة لهذه العترة الطاهرة بفضلها و منزلتها الخاصة في حديث الثقلين المتّفق عليه بين الفريقين[٤]، و حديث الكساء[٥]، و حديث المنزلة[٦] و كثير غيرها من الأحاديث الصحيحة المروية في الصحاح الستّة[٧] و غيرها.

مع هذا، أيكون تعظيم من عظّمه الله و رسوله شركاً و بدعة!؟

أم أنّ البدعة و خرق الإجماع و مخالفة الكتاب و السنّة في إنكار فضل من فضّله الله و رسوله و الصحابة و التابعون لهم بإحسان!؟

الملاحظة الخامسة:

و من افتراءات القفاري أيضاً ـ إتّباعاً لمنهج ابن تيمية ـ أنّ الشيعة يُغالون في أئمّتهم عليهم السلام! و لا يخفىٰ على ذي البصيرة أنّ الغلوّ:

١- سورةالأحزاب: الآية ٣٣.
٢- سورةآل عمران: الآية ٦١.
٣- سورةالمائدة: الآية ٦٧.
٤- راجع مثلاً: مسند أحمد: ٥: ١٨١ و صحيح مسلم: ٤: ١١٠ و فيض القدير: ٣: ١٤ و الصواعق المحرقة:١٣٦.
٥- راجع مثلاً: مسند أحمد: ٤: ١٠٧ و ٦: ٢٩٢ و ١: ٣٣٠ و التاج الجامع للأصول: ٣: ٢٧٤ و نورالأبصار:١١.
٦- راجع: صحيح مسلم: ٤: ١٠٨ بطريقين، و صحيح البخاري ٥: ٣ و ٢٤، و مسند أبي داود: ١: ٢٩، و صحيح الترمذي ٢: ٣٠.
٧- راجع: كتاب فضائل الخمسة من الصحاح الستّة (الفيروز آبادي)

تجاوز الحدّ،[١] و الغالي: المتجاوز عن الحدّ بالإفراط، في مقابل «القالي»، و هو المتجاوز عن الحدّ بالتفريط[٢].

و الغلوّ في المخلوق أن تنسب إلىٰ إنسان من العلم و القدرة و الحياة و المقام على نحو الاستقلالية (من دون‌الله) ما يرفعه إلىٰ منزلة الألوهية ـ و العياذبالله ـ و لاشكّ أنّ هذا هو الشرك الذي هو الظلم العظيم!

و لكنّك إذا نسبت إلىٰ إنسان من العلم ما لايقوىٰ على حمله البشر و ما لايتأتىٰ من طريق الكسب و التحصيل، على نحو التعليم الخاص و الموهبة من الله تبارك و تعالى، لاعلى نحو الاستقلالية، فهذا ليس من الشرك في شيء، بل هو من صميم الإيمان التوحيدي لأنّ الله يختصّ برحمته من يشاء، و الله ذوالفضل العظيم! و هو على كلّ شيءٍ قدير!

و القول في القدرة و الحياة مثلاً أيضاً كالقول في العلم لافرق.

و في الكتاب العزيز عن لسان عيسى عليه السلام: **«... أنّي قد جئتكم بآية مِنْ ربكم أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخُ فيه فيكون طيراً بإذن‌الله، و أبريء الأكمه و الأبرص، و أحي الموتىٰ بإذن‌الله، و أنبّئكم بما تأكلون و ما تدّخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لآية لكم إنْ كنتم مؤمنين.»**[٣]

١- المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني: ٣٦٤.
٢- راجع: تفسير الميزان: ٦: ٧٦.
٣- سورة آل عمران: الآية ٤٩.

و فيه أيضاً عن لسان يوسف عليه السلام: **«قال لايأتيكما طعامٌ تُرزقانِه إلاّ نبئتكما بتأويله قبل أن يأتيكما، ذلكما ممّا علّمني ربّي...»**[١]

و فيه أيضاً عن لسان سليمان عليه السلام: **«و ورث سليمانٌ داود و قال يا أيها الناس عُلّمنا منطق الطير و أوتينا من كلّ شيء، إنّ هذا لهو الفضل المبين»**[٢]

و فيه حول آصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام: **«قال الذي عنده عِلمٌ من الكتاب أنا آتيك به قبل أنْ يرتدّ إليك طرفك، فلمّا رآه مستقرّاً عنده قال هذا من فضل ربّي...»**[٣]

و فيه حول الخضر عليه السلام: **«.. فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةمن عندناو علّمناه من لدنّا عِلماً، قال له موسى هل أتّبعك على أن تعلّمن مِمّا عُلّمتَ رُشداً»**.[٤]

و فيه حول ابراهيم عليه السلام: **«و كذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض و ليكون من الموقنين.»**[٥]

و فيه حول موهبة علم الغيب لمن ارتضى الله من رسول: **«عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول...»**[٦]

و فيه حول حياة من يقتل في سبيل الله: **«و لاتقولوا لمن يقتل**

١- سورة يوسف: الآية ٣٧.
٢- سورة النمل: الآية ١٦.
٣- سورة النمل: الآية ٤٠.
٤- سورة الكهف، الآية ٦٥ ـ ٦٦.
٥- سورةالأنعام: الآية ٧٠.
٦- سورة الجن: الآية ٢٦ و ٢٧.

في سبيل الله أموات بل أحياء و لكن لا تشعرون»(١) و «**و لا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون...»**(٢)

هذه بعض الأمثلة القرآنية على ما فضلّ الله تبارك و تعالى به أنبياءه عليهم السلام و أولياءه عليهم السلام و الشهداء رضوان الله عليهم.

و لا يشكّ مسلم مؤمنٌ بأنّ خاتم الأنبياء و المرسلين محمّداً صلى الله عليه وآله أفضل خلق الله قاطبة (دنىٰ فتدلّىٰ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ!)(٣)، إذن فجميع كمالات الأنبياء و الأولياء عليهم السلام و الشهداء رضوان الله عليهم متوفرة فيه لأنّه الأكمل صلى الله عليه وآله، بل فيه من درجات الأكملية ما ليس في أحد من كُمّل خلق الله من الملائكة و الإنس و الجن قاطبة!

و لا يشك مؤمن بأنّ عليّاً عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بصريح دلالة القرآن الكريم في آية المباهلة «... **فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين»**(٤) فما لرسول الله صلى الله عليه وآله من الكمال الأعلىٰ فهو

١- سورة البقرة: الآية ٢٨.
٢- سورة آل عمران: الآية ١٦٩.
٣- سورة النجم: الآية ٨-٩.
٤- سورة آل عمران: الآية ٦١ / و في صحيح مسلم: ج ٥ / ص ٢٣ / كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل علي بن أبي طالب / ح ٣٢ / مؤسسة عزّ الدين للطباعة والنشر: «حدّثنا قتيبة بن سعيد و محمّد بن عبّاد... قالا: حدّثنا حاتم (و هو ابن اسماعيل)، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهُنّ له رسول الله فلن أسبّه! لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم! سمعت رسول الله يقول له و خلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله خلّفتني مع النساء و الصبيان! فقال له رسول الله: أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من

←

لعلي عليه السلام أيضاً إلاّ النبوّة التي خُتمت بمحمّد صلى الله عليه وآله فلا نبيّ بعده.

و في آية التطهير: **«إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا»**[1] دليل تام على أنّ كمالات النبي صلى الله عليه وآله ـ و هو أحد المخاطبين بهذه الآية ـ هي نفس كمالات أهل البيت عليهم السلام المخاطبين مع النبي صلى الله عليه وآله أيضاً بهذه الآية، ذلك لأنَّ المريد سبحانه واحد، و الإرادة واحدة، و التطهير واحد! فتأمّل!

إذن فالشيعة تقول بكل فخر و اعتزاز: إنّ عند أهل البيت عليهم السلام ـ و هم سواء ـ من الكمالات النفسية و الروحية و من العلم و القدرة و دوام الحياة بعد الموت نفس ما عند رسول الله صلى الله عليه وآله، و في المأثور من السنّة الصحيحة ما يؤكّد هذا البرهان القرآني و يصدّقه، بل في هذا المأثور من السنّة الصحيحة تفصيلات وافية لهذه الحقيقة القرآنية.

و في كلّ ما تنسبه الشيعة إلى أئمّة أهل البيت عليهم السلام من الكمال و العلم و القدرة و دوام الحياة، تنسبه إليهم على نحو الموهبة من الله تبارك و تعالى، لا على نحو الإستقلالية ـ فيكون شركاً ـ و العياذ بالله!

فأين هذا من الغلوّ الذي هو تجاوز الحدّ بالإفراط!؟

← موسى إلاّ إنه لا نبوّة بعدي! و سمعته يقول: لأعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله! قال فتطاولنا لها، فقال: أدعوا عليّاً! فأتي به أرمد فبصق في عينه و دفع الراية إليه ففتح الله عليه!

ولمّا نزلت هذه الآية... فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم... دعا رسول الله عليّاً و فاطمة و حسناً و حسيناً، فقال: «ألّلهمّ هؤلاء أهلي»، و انظر سنن الترمذي: ج ٥ / ٥٦٥ / دارالفكر، و انظر مسند أحمد: ج ١ / ص ١٨٥ / دارصادر

١- سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

و لو كان هذا غلوّاً لوجب أن يكون القرآن ـ و العياذبالله ـ قد غالىٰ أيضاً فيما نسبه من علم و قدرة و معاجز خارقة لأنبياءالله و أوليائه عليهم السلام!

و... لقد أسمعت لو ناديتَ حيّاً و لكن لا حياة لمن تنادي!

٤ـ هل للتقية عند الشيعة أصل في كتاب الله و سنّة رسوله صلى الله عليه و آله؟

و ممّا ذكره ناصر القفاري في كتابه هذا أنّ للشيعة ظاهراً و باطناً!

ولقد أراد بذلك أن يشنّع علىٰ الشيعة لقولهم بالتقيّة و عملهم بها في أوقات و ظروف خاصة!

إنّ المشنّعين على الشيعة لقولهم بالتقيّة لم يقفوا على معناها و مغزاها، و لو تأمّلوا في الأمر و تبيّنوه، و رجعوا إلىٰ كتاب الله و سنّة رسوله صلى الله عليه و آله، و سألوا أهل الذكر لوقفوا علىٰ أنها مما تحكم به ضرورة العقل و نصّ الكتاب و السنّة!

و هنا أمران مختلفان متباينان ربّما خلط الجاهل أحدهما بالآخر، و هما: النفاق و التقيّة! و قد ضرب أعداء الشيعة هذين الأمرين المتباينين بسهم واحد، و حكموا عليهما جهلاً أو تعمّداً بحكم واحد، و قالوا: إنّ التقيّة فرع من النفاق تجلّىٰ في الشيعة باسم التقيّة!

أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟!

لقد ندّد القرآن بالنفاق و المنافقين فقال: «**الأعراب أشدُّ كفراً**

ونفاقاً»[1] و «**إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار**»[2]، لكنّه حرّض على التقيّة في ظروف خاصة فقال: «**لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتّقوا منهم تُقاةً و يحذّركم الله نفسه و إلى الله المصير.**»[3]

فقوله: «إلاّ أن تتّقوا» استثناء من أهم الأحوال، أي أنّ ترك موالاة الكافرين حتم على المؤمنين في كلّ حال، إلاّ في حال الخوف من شيء يتقّونه منهم، فللمؤمنين حينئذٍ أن يُصانعوهم بقدر ما يُتّقىٰ به ذلك الشيء، لأنّ درء المفاسد مقدّم علىٰ جلب المصالح.

فلو كانت التقيّة من فروع النفاق فلماذا دعا إليها الكتاب الحكيم؟

و قال تبارك و تعالى: «**من كفر بالله من بعد إيمانه إلاّ من أُكره و قلبه مطمئنّ بالإيمان، و لكن من شرح بالكفر صدراً فعليه غضب من الله و له عذاب عظيم**»[4]

فتراه سبحانه يجوّز إظهار الكفر كُرهاً، و مجاراة الكافرين خوفاً منهم بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، فلوكانت مداراة الكافرين في بعض الظروف الخاصة نفاقاً فلماذا رخّص بذلك الإسلام و أباحه، و قد اتّفق المفسّرون علىٰ أنّ الآية نزلت في جماعة أكرهوا علىٰ الكفر، و هم عمّار و أبوه ياسر و أمّه سمية

١- سورةالتوبة / الآية ٩٧.
٢- سورةالنساء/ الآية ١٤٥.
٣- سورةآل‌عمران / الآية ٢٨.
٤- سورة النمل/ الآية ١٠٦.

رضوان‌الله عليهم، و قتل أبوعمّار و أمّه، و أعطاهم عمّار بلسانه‌ما أرادوا منه، فقال قوم كفر عمّار! فقال صلى الله عليه وآله: **«كلاّ إنّ عمّاراً ملىء إيماناً من قرنه إلىٰ قدمه، و اختلط الإيمان بلحمه و دمه»، و جاء عمّار إلىٰ رسول‌الله صلى الله عليه وآله و هو يبكي! فقال صلى الله عليه وآله: «ما وراءك؟»، فقال: شرٌ يارسول‌الله صلى الله عليه وآله ! ماتركتُ حتّىٰ نِلتُ منك! و ذكرتُ آلهتهم بخير!، فجعل رسول‌الله صلى الله عليه وآله يمسح عينيه و يقول: «إنْ عادوالك فعُدْ لهم بما قلت!» فنزلت‌الآية.**[1]

و هذا مؤمن آلِ فرعون، يكتم إيمانه تقيّة من قومه، و يتظاهر بأنّه علىٰ دينهم، ليخدم دينه و نبيّه تحت غطاء التقيّة، فيرشد قومه إلىٰ رصانة دينه ببيان بليغ صادر عن رجل محايد!: **«و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله و قد جاءكم بالبينات من ربّكم، و إنْ يكُ كاذباً فعليه كذبه، و إنْ يكُ صادقاً يُصبكم بعض الذي يعدكم، إنّ‌الله لايهدي من هو مسرفٌ كذّاب.»**[2]

و ربّما خفي على أعداء الشيعة أنّ التقيّة عندهم تنقسم حسب‌الأحكام الخمسة، فكما أنها تجب لحفظ النفوس و الأعراض و الأموال، ربّما تحرم إذا ترتبت عليها مفسدة أعظم، كهدم الدين، و خفاء الحقيقة عن الأجيال الآتية، أو تسلّط الأعداء على شؤون المسلمين و حرماتهم و مقدّساتهم، ولأجل ذلك نرىٰ كثيراً من عظماء الشيعة و أكابرهم رفضوا التقيّة في ظروف معيّنة و قاموا ضد

١- راجع: مجمع‌البيان:٣:٣٨٨.
٢- سورة غافر / الآية ٢٨.

الطغاة حتىٰ قتلوا بسيوف الظلم، أو شنقوا بحبال الجور، أو صلبوا على أخشاب الطغيان.

منهم: سيّدهم الإمام أبو عبدالله الحسين سيد الشهداء عليه السلام و أنصاره المستشهدون بين يديه في كربلاء أو في سبيله في الكوفة و البصرة، و منهم: حجر بن عديّ الكندي، و ميثم التمّار، و رشيد الهجري، و مئات غيرهم، كان الزمان و لم يزل يرعف بأمثالهم إلى أيامنا هذه...

و قد يتساءل بعضهم فيقول: إنّ الآية التي فيها **«إلاّ أن تتّقوا منهم تُقاةً»** و الآية التي فيها **«إلاّ من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان»** راجعتان إلىٰ تقيّة المسلم من الكافر، و لكن الشيعة يتّقون اخوانهم المسلمين، فكيف يُستدل بهما على صحة عملهم؟

والجواب هو: إنّ الآيتين و إن كانتا لاتشملان تقيّة المسلم من أخيه المسلم بالدلالة اللفظية، و لكنهما تشملان غير موردهما بنفس الملاك الذي سوّغ تقية المسلم من الكافر، فإنّ وجه تشريع التقية هو صيانة النفس، و العرض و المال من الهلاك و الدمار، فإنْ كان هذا الملاك موجوداً في غير مورد الآية فيجوز أخذاً بوحدة المناط.

و قد كان عمل الشيعة على التقيّة منذ تغلّب معاوية على الأمّة، و ابتزازه الإمرة عليها بغير رضاً منها، و صار يتلاعب بالشريعة الإسلامية حسب أهوائه، و جعل يتّبع شيعة عليّ عليه السلام و يقتلهم تحت كل حجر و مدر، و يبطش على الظنّة و التهمة، و سار الحكّام الأمويون من بعده على نهجه، ثمّ العبّاسيّون، و قد زادوا في الطين بلّة، و لذا

اضطر الشيعة إلىٰ كتمان أمرهم تارة، و التظاهر بـه تـارة أخـرىٰ، حسب ما تقتضيه طبيعة الظروف و نوع تعامل الحكام الطغاة معهم.

إنّ الأمر الإرهابي التعسفي الجائر الذي أصدره معاوية إلى جميع عمّاله في الآفاق: «انظروا إلىٰ من أقيمت عليه‌البينّة أنه يُحبُّ عليّاً و أهل‌بيته فامحوه من الديوان، و أسقِطوا عطاءه و رزقـه» و «مـن اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به و اهـدموا داره!»[١]، كـان و لم يزل الحكام الطغاة من بعد معاوية يعملون به إلى يومنا هذا!

و لازال الشيعة يعانون الأمرَّيْنِ و تنزل بساحتهم الدواهـي فـي أقطار عديدة من عالمنا العربي و الإسلامي، بسبب جـور الحكّـام الطواغيت الممثّلين لإرادة الإستكبار الغربي عامة و لإرادة أمريكا خاصة في عالمنا الإسلامي، و بسبب انتشار التـيارات و الأفكـار المتحجّرة المتلبّسة بالعنوان الإسلامي و التي كانت مناشئها بمباركة و رعاية الدهاء الإستكباري الغـربي نـفسه، و التـي لاهـمَّ لهـا إلاّ اضطهاد الشيعة!

و لناعَوْد على مبحث التقيّة بـالتفصيل فـي الردّ المـفصّل عـلى مباحث كتاب ناصرالقفاري إن‌شاءالله تعالى.

٥ـ هل يسبُّ الشيعة و يلعنون جميع الصحابة!؟

قال القفاري: «و قد كشف لنا الشيخ موسىٰ جارالله[٢] حينما زار

١- راجع: شرح نهج‌البلاغة لابن أبي الحديد: ٣: ١٥ عن المدائني.
٢- موسى جارالله: رجل من أهل تركستان، يعبّر عن نفسه في كتاباته تارة بموسىٰ

← جاراللّه، و أخرىٰ بموسىٰ جاراللّه ابن فاطمة! و لايُعرف وجه اختيار انتسابه إلىٰ أمّه!؟ و لعلّ هذاالإسم الذي تسمّىٰ به إسم مستعارٌ اتّخذه لنفسه بعد أن ارتحل إلى بلاد قلب العالم الإسلامي لأنّه من الأسماء المألوفة في هذه البلاد!

صرّح في كتابه (الوشيعة) أنّه من متصوّفة الإسلام! و قال صاحب كتاب (نقض الوشيعة) في وصفه: «و يظهر من ملامحه حينما زارنا بمنزلنا في الكوفة أواخر عام ١٣٥٢ هـ ق أنه تجاوز الستين من عمره، يلبس اللباس الإ فرنجي، و علىٰ رأسه قلنسوة من المخمل الأسود... يحسن العربية الفصحىٰ و الفارسية و التركية... و قد حضر المؤتمرالإسلامي المنعقد في القدس عام ١٣٥١ هـ ق، ثمّ جاء إلى العراق عام ١٣٥٢، ثمّ ذهب إلى إيران عام ١٣٥٣، ثمّ عاد إلى العراق في تلك السنة، و وجّه الأسئلة المشار إليها إلىٰ علماء النجف و الكاظمية، ثمّ سافر إلىٰ مصر و ألّف فيها و شيعته و طبعها عام ١٣٥٥، و هو باق في مصر إلىٰ الآن عام ١٣٥٩، و لسنا نعلم تفصيل أحواله...»(نقض الوشيعة / السيد محسن العاملي: ٨ / مؤسسة الأعلمي - بيروت / ط ٤ / ١٤٠٣ هـ ق - ١٩٨٣ م) و ورد في غلاف كتابه «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة / نشر مطبعة الگيلاني) أنّه ولد في عام ١٢٩٥ هـ ق و توفي عام ١٣٦٩ هـ ق.

و يبدو أنّ هذا الرجل كان ذا نشاط سياسيّ أو تجسسيّ أسخط عليه بعض الحكومات و أرضىٰ عنه أخرىٰ فقد قال يصف رحلته من تركستان إلى قلب العالم الإسلامي: «هاجرتُ بيتي و وطني في نهاية سنة ١٩٣٠ م هجرة إضطرارية!. و كانت قد سُدَّت عليَّ كلّ طرق النجاة! حتىٰ آثرت مضطراً أوعر الطرق و أصعبها و أطولها، فساقتني الأقدار من طريق التركستان الغربي إلىٰ الأقطارالإسلامية: إلىٰ التركستان الشرقي الصيني، فالبامير، فأفغانستان.

وبقيت أربعة أشهر و زيادة على متون الخيول حتّىٰ وصلت إلىٰ كابل... و أصعب عذاب لا أكاد أنساه هو أنّي بأيدي حرس كانت ترقبني و لاتتركني علىٰ اختياري في البحث و في الإقامة حيث أريد!... أقمت بكابل في الإنتظار أربعين يوماً ضيفاً عند حكومتها الكريمة!... ثمّ فتح‌اللّه جلّ جلاله علىٰ وجهي أبواب السفر بإشارة من جلالة الملك العظيم أعلى حضرت «نادرشاه»!... قد كنتُ سِحتُ من قبل في الهند، و جزيرة العرب، و مصر، و كل بلاد تركيا، و كلّ التركستان الغربي!...»(راجع: الوشيعة: ٢٢ و٢٣)

و من الإشارات التي كانت تؤكّد أنّ لهذا الرجل التركستانيّ المريب قصداً مسبّقاً و غاية تجسسية قوله: «و جُلت في بلاد الشيعة طولاً و عرضاً سبعة أشهر و زيادة، و كنت أمكثُ في كلّ عواصمها أيّاماً أو أسابيع، و أزور معابدها(!) و مشاهدها ←

ديار الشيعة في إيران و العراق، و حضر مجالسها و محافلها

و مدارسها، واحضرمحافلها و حفلاتها في العزاء و ا لمآتم، و كنت أحضر حلقات الدروس في البيوت و المساجد و صحونها، و المدارس و حجراتها، و كنت أستمع و لاأتكلّم بكلمة!!...»(الوشيعة: ٢٤)

إنّ شأن الباحث عن الحقيقة، المحقق في طلبها، هو أن يُظهر ما عنده من اعتقاد، و يحاور الآخرين حتّىٰ يميز الحقّ من الباطل، و الخبيث من الطيب، أمّا شأن المتجسّس فإتقانه الكتمان و المراقبة و الرصد و استظهار عدم المعرفة!

يقول السيّد محسن الأمين العاملي: «زارنا بمنزلنا في الكوفة من أرض العراق أواخر عام ١٣٥٢ هـ ق حينما تشرّفنا بزيارة المشاهد الشريفة، و ذلك بعدما جاء من المؤتمر الإسلامي بالقدس، دخل علينا فسلّم، فرددنا عليه السلام و رحّبنا به، و قلنا له: هل أنت مسلم؟ فقال: أوما يكفي لبيان إسلامي السلام؟ فقلنا له: قد يسلّم غير المسلمين. و كانت هيأته في لباسه الإفرنجي و لباس رأسه و طول شعره ـ كما قدّمنا ـ يُظنّ منها أنّه موسوي (أي يهودي) غير مسلم!» (نقض الوشيعة: ١٠)

«... ثمّ زارنا في منزلنا بطهران، فسألناه عن منزله لنردّ له الزيارة، فقال: أنا نازل عند امرأة أرمنيّة!...»(نقض الوشيعة: ١٠)

و يبدو أنّ لموسىٰ جارالله التركستاني موهبة تخيليّة ناشئة ممّا يتوهمه في نفسه من عظمة فارغة عن كلّ محتوىٰ، إذ يقول في مقدّمة كتابه بعد دعاء «ربّ اشرح لي صدري، و يسّر لي أمري...»: كأنّي سمعت اللّه قال: «قد أُوتيت سؤلك يا موسىٰ» (الوشيعة: ٢٠)، ترىٰ ماذا كان يقول القفاري أو ابن تيمية أو هذا التركستاني لو أنّ أحداً من الشيعة قال ذلك!؟ إنّ أقلّ ما يمكن أن تصرخ به هستيريا هؤلاء هو أنّ هذا الشيعيّ لايؤمن بختم النبوّة لمحمّد ! و أنّه قد ادّعىٰ أنّه يوحىٰ إليه!! و من ثمّ فقد أشرك و ألحد و كفر!!

و لهذا الرجل التركستاني قدرة واضحة على التلاعب بالألفاظ، و على المغالطة، و على خلط الحق بالباطل، في طول كتابه و عرضه، فمن أقواله ـ على سبيل المثال ـ «أنا لا أكفّر يزيد، لأنّ عمله أشنع و أفحش من كلّ كفر! و لاألعنه! لأنّ إسلام الشيعة للحسين بعد أن دعوه، و إطاعة الجيش و قائديه أمر يزيد ابتغاء لمرضاته أشنع و أفحش من أمر يزيد أضعافاً مضاعفة!»(الوشيعة: ٢٩)، و خذ مثالاً آخر على هذيانه: «أنا لاأنكر عصمة الأئمّة! فإنْ كانت الأئمّة معصومة فإنّي بفضل اللّه علينا و رحمته لنا في عصمة أئمتنا فرح أكثر من فرح الشيعة!!... إلاّ إنّ عصمة الأئمة لاتُغني الأمّة في شيء! و لاتغنيها عن شيء!» (الوشيعة: ٤٠)

و كتابه الوشيعة يطفح بالنصب و العداء لأهل البيت عامة و لعلي خاصة، و إنْ حاول جاهداً أن يعتمّ على ذلك ما أمكنه التحايل و التلاعب بالألفاظ!

و حلقات درسها في ا لبيوت و المساجد و المدارس فاطّلع على ما يدور في واقع الشيعة من تكفير لمن رضيالله عنهم! و رضوا عنه! حتىٰ قال: «كـان أوّل شـي سـمعته و أنكـرته هـو لعـن الصـدّيق و الفاروق، و أمّهات المؤمنين: السيّدة عائشة و السيّدة حفصة، و لعن العصر الأوّل كافة، و كنت أسمع هذا في كلّ خطبة و في كلّ حـفلة و مجلس فيالبداية و النهاية، و أقرأه في ديباج الكتب و الرسائل، و في و أدعية الزيارات كلّها، حتّىٰ في الأسقية ماكان يسقي ساقٍ اِلاّ و يلعن، و ما كان يشرب شارب إلاّ و يلعن. و أوّل كلّ حركة و كلّ عمل الصلاة على محمّد و آل محمّد، و اللعن على الصدّيق و الفاروق و عثمان، الذين غصبوا حقَّ علي ـ بزعمهم ـ و ظلموه، حتىٰ أصبح السبّ و اللعن عندهم أعرف معروف يلتذّ به الخطيب، و يفرح عنده السامع.»

و هذا الواقع المظلم الذي تجري ألسنة أهله بـاللعن و التكـفير و السبّ ليس بغريب علىٰ من يرتضع منذ طـفولته كـره أصـحاب رسول الله صلى الله عليه وآله...»(١)

في هذا النصّ الذي انتقيناه من كـتاب القـفاري مـجموعة مـن الإفتراءات و الإدّعاءات الواهية، التي جرىٰ القـفاري فـيها عـلى عادته في إثارة المسلم السنّي ضد أخيه المسلم الشيعي! و جـميع هذه الإفتراءات تستحقّ ا لردّ عليها بالأدلة العلمية و الواقعية التـي

١- أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٣٢٩ ـ ١٣٣٠

تكشف عن زيفها و عدم صحّتها، إلاّ أنّ الردّ عليها جميعاً يُخرج هذا المدخل المختصر عن إطاره، و لذا فسنؤجّله إلى المواقع المناسبة في ثنايا الردّ التفصيلي علىٰ مباحث القفاري، و سنردّ هنا على الفرية المهمّة منها، و هي أنّ الشيعة تكره أصحاب رسول الله ﷺ و تسبّهم و تلعن العصر الأوّل كافة! على حدّ قول موسىٰ جارالله!

إنّ الشيعة يعتقدون أنّ: مصاحبة الرسول ﷺ و ملازمته فخر كبير و شرف لايناله إلاّ ذوحظّ عظيم، و كثير من صحابة الرسول ﷺ من المهاجرين و الأنصار رضوان الله تعالى عليهم بذلوا غاية المجهود و أغلىٰ ما يملكون في نصرة رسول الله ﷺ و إعلاء كلمة الدين الحنيف، و لم يألوا جهداً و طاقة في هذا السبيل حتّىٰ أثنىٰ عليهم المولى تبارك و تعالى الثناء العاطر في مواضع كثيرة من كتابة المجيد الذي لا يأتيه الباطل مِن بين يديه و لا من خلفه، كما في قوله تعالى: **«والسابقون الأوّلون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم باحسان رضي‌الله عنهم ورضوا عنه و أعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم.»**[1] و في قوله تعالى: **«للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم يبتغون فضلاً من الله و رضواناً و ينصرون الله و رسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوّؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة ممّا أوتوا و يؤثرون علىٰ أنفسهم**

١- سورة التوبة: الآية ١٠٠.

و لو كان بهم خصاصة، و من يُوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون.»[1] و في قوله تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوالله عليه فمنهم من قضىٰ نحبه ومنهم من ينتظر و ما بدّلوا تبديلا».[2]

و في قوله تعالى: «لقد رضيالله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم و أثابهم فتحاً قريباً»[3]

و يقول الإمام عليبن الحسين عليه السلام في دعائه «في الصلاة على أتباع الرسل و مصدّقيهم»: «اللّهمّ و أصحاب محمّد خاصّة الذين أحسنوا الصحابة، و الذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، و كانفوه وأسرعوا إلىٰ وفادته، و سابقوا إلىٰ دعوته، و استجابوا له حيث أسمعهم حجّة رسالاته، و فارقوا الأزواج و الأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء و الأبناء في تثبيت نبوّته، و انتصروا به، و من كانوا منطوين علىٰ محبّته، يرجون تجارة لنتبور في مودّته، والذين هجرتهم العشائر اذ تعلّقوا بعروته، و انتفت منهم القرابات إذسكنوا في ظلّ قرابته. فلا تنسَ لهم اللّهمّ ما تركوا لك و فيك، و أرضهم من رضوانك، و بما حاشوا الخلق عليك، و كانوا مع رسولك دعاة إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، و خروجهم من سعة

١- سورة الحشر: الآية ٨ و ٩
٢- سورةالأحزاب: الآية ٢٣
٣- سورة الفتح: الآية ١٨

المعاش إلىٰ ضيقه، و من كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم...»(١)

هذا هو نظر الشيعة و اعتقادهم في أصحاب رسول الله ﷺ الذين امتثلوا أمره في الصغيرة و الكبيرة، و أطاعوه حقّ طاعته، و ما بدّلوا ـ بعده ـ و ما أحدثوا و ما غيّروا.(٢)

---

١ - أنظر: الصحيفة السجاديّة الجامعة: ٤٣ ـ ٤٥.

٢- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «يردُ علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فَيُجْلَونَ عن الحوض، فأقول: يا ربِّ أصحابي؟ فيقول: إنك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك، إنّهم ارتدّوا علىٰ أدبارهم القهقرىٰ»

(البخاري ٥: ٢٤٠٤ رقم الحديث ٦٢١٣ / منشورات دارابن‌كثير ـ بيروت) و عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ أنه قال: «يردن علّي أقوام أعرفهم و يعرفونني، ثم يُحال بيني و بينهم. و زاد أبو سعيد الخدري: فأقول: إنّهم مني فيقال: إنّك لاتدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيرّ بعدي.» (البخاري ٥: ٢٤٠٤ رقم الحديث ٦٢١٢ / دارابن‌كثير / تحقيق دكتور مصطفى ديب)، و أخرجه مسلم برقم ٢٢٩٠ ـ ٢٢٩١ في الفضائل.

و عن العلاء بن المسيّب، عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب، فقلت: طوبىٰ لك صحبت النبي ﷺ و بايعته تحت الشجرة! فقال: يا ابن أخي! إنك لاتدري ما أحدثنا بعده!» (البخاري ٤: ١٥٢٩ رقم الحديث ٣٩٣٧).

و هنا ملاحظة مهمة: و هي أنّ الذين يتشبثون بدعوىٰ عدالة جميع الصحابة يتذرّعون بحديث مزعوم عن النبي ﷺ، و هو: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، و هذا الحديث المزعوم فضلاً عن منشأه الأموي مخالف مخالفة صريحة لكتاب الله و السنّة الصحيحة و الحقيقة التأريخية، و فضلاً عن كلّ هذا، إليك ماقاله محقّقون من علماء الرجال من أهل السنّة:

قال الذهبي إنه حديث باطل و جعله من الموضوعات (راجع: ميزان الإعتدال: ١: ٤١٣).

و رمز له السيوطي به (ضعيف)، (راجع: الجامع الصغير / و شرحه للمناوي: ٤: ٧٦ رقم الحديث ٤٦٠٣، و قال المناوي في الشرح (فيض القدير): قال ابن‌الجوزي في العلل: لايصلح، و قال الذهبي باطل. و قال الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح: ذكر ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي أنه ضعيف واهٍ، و ذكر ابن حزم أنّه موضوع باطل (راجع: مرقاةالمفاتيح في شرح مشكاة المصابيح / علي القاري: ٥: ٥٢٣ / مؤسسة التاريخ ـ بيروت). و قال ابن منده: إسناده ساقط و الحديث موضوع

←

و لايخفىٰ على أحدٍ أنّ الشيعة لايرون و لايعتقدون بعدالة جميع الصحابة!

و هذا ما قررّه القرآن الحكيم، و السنّة النبوية الشـريفة، و إليك بعض الأمثلة القرآنية:

١ـ حدّثنا القرآن الكريم أنّ منافقين هناك في مجموع صـحابة رسول الله ﷺ حيث يقول تـعالى: «**و مـمّن حـولكم مـن الأعـراب منافقون و من أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرّتين ثمّ يردّون إلىٰ عذاب عظيم.**»[1]

و كان لحركة النـفاق فـي زمـن النـبي ﷺ جـهود جـبارة فـي مواجهته ﷺ و في السعي الظاهر و الخفي لحرف المسيرة الإسلامية عن مسارها الصحيح، و قـد تـعرّض القـرآن لأسـاليب المـنافقين و أقوالهم في كثير من الآيات القرآنية، حتّىٰ خصّ عنوان سورة من سوره الشريفة باسمهم، و لاشك أنّ هؤلاء المنافقين كانوا من صحابة الرسول ﷺ بحسب تعريف الصحابة الذي يتبنّاه أهل السنّة.

٢ـ حدّثنا القرآن الكريم أنّ فـي الصـحابة جـماعةمن مـرضىٰ القلوب، حيث يقول تبارك و تعالى: «**و إذ يقول المنافقون و الذين**

← (راجع: الفوائد: ٢٩ / دارالصحابة ـ طنطا / تحقيق مسعد عبد الحميد)، و قـال المحقّق في الهامش: قال ابن عبدالبر: هذا إسناد لاتقوم به حجّة، و قال ابن حزم: هذه رواية ساقطة!. هذا فضلاً عن أنّ التشبيه نفسه فى هذا الحديث ساقط أيضاً لأنّ الاقتداء بالنجوم كلّها في وقت واحد لايزيد السالك إلّا حـيرة و ضـلالاً، بـل لايمكن عملاً!!

١- سورةالتوبة: ١٠١

في قلوبهم مرض ما وعدنا الله و رسوله إلاّ غرورا».(١)

٣ـ و حدّثنا القرآن الكريم عن فسق بعض الصحابة كما في سبب نزول هذه الآية الكريمة: **«يا أيهاالذين آمنوا إنْ جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا علىٰ ما فعلتم نادمين»**(٢)، حيث وصف الله تبارك و تعالى الصحابي: الوليدبن عقبة ابن أبي معيط بـ(الفاسق)،(٣) لمّا افترىٰ علىٰ بني المصطلق ما لم يصدر عنهم، و كادت أن تقع في حياة المسلمين آنذاك فتنة عظيمة لو لاالتدخّل الربّاني و نزول الوحي.(٤)

١- سورةالأحزاب: ١٢

٢- سورة الحجرات: ٦

٣- قال العلاّمة الطباطبائي‌رحمه‌الله: «أقول: نزول الآية في قصة الوليد بن عقبة مستفيض من طرق أهل السنّة و الشيعة، و قال ابن عبدالبر في الإستيعاب: و لاخلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمتُ أنّ قوله عزّوجلّ: «إنْ جاءكم فاسق بنبأ» نزلت في الوليد بن عقبة» (راجع: الميزان في تفسير القرآن: ١٨: ٣١٩ / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت. و راجع: الإستيعاب في أسماء الأصحاب / المطبوع حاشية للإصابة في تمييز الصحابة: ٣: ٥٩٥ / دارالكتاب العربى ـ بيروت).

٤- قال ابن‌كثير: «و قد ذكر كثير من المفسّرين أنّ هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله علىٰ صدقات بنى المصطلق، و قد روي ذلك من طرق، و من أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده، من رواية‌ملك بين المصطلق، و هو الحارث بن ضرار بن أبي ضرار والد ميمونة بنت الحارث أمّ المؤمنين(رض)، قال الإمام أحمد: حدّثنا محمّدبن أبي سابق، حدّثنا عيسىٰ بن دينار، حدّثني أنّه، سمع الحارث بن‌ضرار الخزاعي (رض) يقول: قدمت على رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه و أقررت به، و دعاني إلىٰ الزكاة فأقررت بها، و قلت: يا رسول‌الله أرجع إليهم فأدعوهم إلىٰ الإسلام و أداء الزكاة، فمن استجاب لي دفعت زكاته، و تُرسل إليّ يا رسول‌الله رسولاً إبان كذا و كذا ليأتيك بما جمعتُ من الزكاة، فلمّا جمع الحارث الزكاة ممّن استجاب له و بلغ الإبان الذي أراد رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله أن يبعث إليه إحتبس عليه الرسول و لم‌يأته،

←

و في تفسير قوله تعالىٰ في الآية ٢٤ من سورة الحجر: «**ولقد علمنا المستقدمين منكم و لقد علمنا المستأخرين**» وردت رواية عن ابن عبّاس قال: «كان امرأة حسناء من أحسن الناس تصلّي خلف رسول الله صلى الله عليه وآله، و كان بعض القوم يتقدّم حتىٰ يكون في الصفّ الأوّل لأن لايراها، و يستأخر بعضهم حتّىٰ يكون في الصف الآخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأنزل الله هذه الآية.»[1] ففي الصحابة إذن من يتدنّىٰ مستواه الأخلاقي و يتسافل إلى هذا الحدّ!!

← و ظنّ الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالىٰ و رسوله، فدعا بسروات قومه فقال لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان وقّت لي وقتاً يُرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، و ليس من رسول الله صلى الله عليه وآله الخُلف، و لاأرىٰ حبس رسوله إلاّ من سخطة فانطلقوا بنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وآله، و بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الوليدبن عقبة إلىٰ الحارث ليقبض ماكان عنده مما جمع من الزكاة، فلمّا أن سارالوليد حتىٰ بلغ بعض الطريق فرق أي خاف، فرجع حتىٰ أتىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّ الحارث قد منعني الزكاة و أراد قتلي! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله و بعث البعث إلىٰ الحارث (رض)، و أقبل الحارث بأصحابه حتّىٰ إذا استقبل البعث و فصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا هذا الحارث فلمّا غشيهم قال لهم: إلىٰ من بُعثتم؟ قالوا: إليك. قال: و لِم؟ قالوا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة و أردت قتله. قال (رض): لاوالذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحقّ ما رأيته بتّة و لاأتاني! فلمّا دخل الحارث علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: منعت الزكاة و أردت قتل رسولي؟ قال: لا و الذي بعثك بالحق ما رأيته و لاأتاني، و ما أقبلتُ إلاّ حين احتبس عليّ رسول رسول الله صلى الله عليه وآله، خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى و رسوله. قال: فنزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) إلى قوله (حكيم)». (تفسير القرآن العظيم: ٤: ٣٠٩ / دارالمعرفة ـ بيروت).

١- تفسير الكشاف / للزمخشري: ٢: ٥٧٦ / و قال الزمخشري: «أخرجه الترمذي و النسائي و ابن ماجة و ابن حبّان و الحاكم و أبو يعلىٰ و أحمد و البزّار و الطبري و ابن أبي حاتم من رواية أبي الجوزاء أوس بن عبدالله عن ابن عبّاس».

و يكفينا في الدلالة على عدم عدالة بعض الصحابة متن هذه الآية الشريفة النازلة في مدح رسول‌الله ﷺ و الذين معه ممّن أخلص الصحبة له، حيث يقول تعالى: «**محمّد رسول‌الله و الذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة و مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوىٰ علىٰ سوقه يعجب الزّراع ليغيظ بهم الكفّار، وعدالله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم مغفرة و أجراً عظيما.**»(١)

ذلك لأنّ ختام هذه الآية الشريفة كاشف تماماً عن أنّ الصحابة ليسوا جميعاً من «الذين آمنوا و عملوا الصالحات» بدليل كلمة «منهم».

إذن فهذا الثناء العظيم في هذه الآية الشريفة جاء على نحو التغليب، ذلك لأنَّ في مجموع من كان مع رسول‌الله ﷺ من يستحق هذا الثناء، و الدليل على هذا نفس ختام هذه الأية الشريفة، لأن الوعد الإلهي بالمغفرة و الأجر العظيم لم‌يشمل جميع من كان مع الرسول ﷺ، بل شمل «الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم» فقط، فتأمّل!

و السنّة الشريفة أيضاً تؤكدّ على أنّ بعض الصحابة ليسوا عدولاً، و في ثنايا هذا البحث مرّت بنا بعض الأمثلة من السنّة الشريفة على

١ـ سورة الفتح: الآية ٢٩

ذلك.

و من القرآن و السنّة الشريفة أخذ الشيعة نظرتهم إلى الصحابة، فهم يقدّسون و يُجلّون الصحابة الذين أخلصوا لله الصحبة مع رسولهﷺ فامتثلوا أوامره و نواهيه و وصاياه إمتثالاً تامّاً، و استقاموا على خطّ طاعتهﷺ حتّىٰ بعد موته، فما أحدثوا و ما غيّروا و ما بدّلوا تبديلا.

أمّا من بدّل و غيرّ و كتم ما أنزل الله من البيّنات و الهدىٰ فلاتقول الشيعة فيه إلاّ ما يقول القرآن المجيد: «**إنّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات و الهدىٰ من بعد ما بيّناه للنّاس في الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون**»(١)، و من الواضح أنّ الصحابة ليسوا جميعاً كهؤلاء، فالشيعة إذن لايلعنون الصحابة جميعاً و لا يسبّونهم كما زعم القفاري و موسىٰ جارالله.

والشيعة في الأسقية عند شربهم الماء يتذكّرون عطش الحسينعليه السلام في كربلاء و كيف قتله الظالمون ظامئاً و أبوا أن يسقوه قطرة من الماء حتىٰ مضىٰ شهيداً مظلوماً، فيلعنون قاتليه و على رأسهم عمربن سعد بن أبيوقّاص قائد الجيش الأموي الذي جرت علىٰ يديه فاجعة عاشوراء، و يلعنون أميره يزيدبن معاوية، و كلّ من اشترك في قتل سبط رسول اللهﷺ من قريب أو بعيد... فإذا كان ذلك يغيظ القفاري و موسىٰ جارالله و ابن تيمية و إحسان ظهير و من

١- سورة البقرة: الآية ١٥٩.

وراءهم... فليموتوا بغيظهم... و من رضي بعمل قوم أُشرك في عملهم و من أحبّهم حُشر معهم.

٦ـ هل ادخل الخميني إسمه في الأذان؟!

و نقل ناصر القفاري في كتابه هذا عن «موسىٰ الموسوي» المعروف بانحرافه عن مذهب الشيعة أنّه قال: «أدخل الخميني اسمه في أذان الصلوات! و قدّم اسمه حتّىٰ علىٰ اسم النبيّ الكريم! فأذان الصلوات في إيران بعد استلام الخميني للحكم و في كل جوامعها كما يلي: «أللّه أكبر، أللّه أكبر، خميني رهبر» أيّ أنّ الخميني هو القائد، ثمّ أشهدُ أنَّ محمّداً رسول‌الله!»[1]

إنّ هذا الإدّعاء و الإفتراء أسخف من أن يُردّ عليه! إذ لا يصدّقه أيُّ عاقل! فالأذان الذي يُذاع في أوقات الصلاة من إذاعة الجمهورية الإسلامية في ايران منذ انتصار الثورة الإسلامية فيها هو هذا الأذان الشرعي المعهود لاغير! و هذا أمر لا يخفىٰ على أحد من الناس، و من المستبعد جدّاً أن لا يكون ناصر القفاري قدسمعه مراراً من إذاعة إيران، أمْ أنّ القفاري هذا يذهب به سوء الظنّ إلى درجة التصوّر أنّ لإذاعة إيران قناة خاصة تبثّ ذلك الأذان الذي افتراه موسى‌الموسوي! و هذه القناة الخاصة لا يتمكن غيرالإيرانيين من سماعها!؟

١- أصول مذهب الشيعة الإمامية: ٣: ١٣٩٢.

ما أكثر الحمقىٰ الذين يحملون شهادات علمية تشريفية لاحقيقة لها في هذاالعالم!!

٧ـ هل يتعاون الشيعة مع اليهود!؟

و نقل هذا المؤلّف الذكيّ البارع، عن كتاب «الحكومة الإسلاميّة» لآية الله العظمىٰ و المرجع الديني الكبير و القائد الفذّ السيّد الخميني، جملة من الصفحة ١٣٥ و هي:

«و إذا عزمنا علىٰ إقامة حكم إسلامي سنحصل على عصا موسىٰ و سيف عليّ ابن أبي طالب»

ثمّ يقول ناصر القفاري:

«والجمع بين عصا موسىٰ و سيف عليّ بن أبي طالب كناية ـ فيما يبدو لي ـ عن تعاون اليهود مع الشيعة في دولة الآيات، و هذا ما وقع بعضه في دولة الخميني كما في فضائح صفقات الأسلحة، والتعاون السريّ بينهما الذي تناقلته وكالات الأنباء و اشتهر أمره»[1]

و نقول:

شرُّ البليّة ما يُضحك! إذ يبدو أنّ ناصر القفاري هذا صفر اليدين تماماً من معرفة البلاغة و الكناية خاصة و فنون الكلام الرمزي، ذلك لأن التوراة عرفاً هي رمز اليهود، كما الإنجيل رمز النصارىٰ،

١- نفس المصدر: ٣: ١٤١١.

و القرآن رمز المسلمين، أمّا عصا موسىٰ فهي رمز التأييد الإلهي الغيبيّ و القدرة الربانيّة الخفيّة و التدخل السماويّ لنصرة موسىٰ عليه السلام على فرعون بالمعجزة الخارقة التي قلبت عصا خشبية لا تختلف عن أيّ عصا عادية إلىٰ كائن آخر حيّ يلقف كلّ الحبال و العصيّ التي حملت إفك السحرة، حتّىٰ انقلب السحرة أنفسهم مؤمنين لا يرهبون الموت و لا ما توعّدهم به فرعون من أقصىٰ العقوبات و التنكيل، و آثروا لقاءالله على هذه الدنيا الزائلة، و هذا الرمز يتمسّك به كلّ مؤمن متوكلّ على الله وحده و هو ينتظر التدخّل السماوي و التأييد الربّاني لنصرته على أعدائه الذين يفوقونه عدّة و عدداً!

أمّا سيف علي بن أبي طالب عليه السلام فهو رمز الجهاد الإسلاميّ و القوة الإيمانيّة الضاربة التي نافحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله في أحواله كلّها و غزواته عامة، و في بدر و أحد و الخندق و حنين خاصة، حتى نادىٰ المنادي في السماء يوم أحد:

«لا سيف إلاّ ذوالفقار و لا فتى إلاّ علي»[١]

و حتّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّ صاحب هذا السيف يوم الخندق حينما برز إلى عمروبن ودّ العامري:

«برز الإيمانُ كلّه إلىٰ الشرك كلّه!»[٢]

١- راجع مثلاً: تاريخ الطبري: ٢: ١٩٧ / مؤسسة الأعلمي بيروت، و روي أنّ ذلك كان قد حصل أيضاً في موقعة بدر (راجع: تاريخ ابن عساكر / ترجمة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام / تحقيق المحمودي ١٥٨/١ رقم الحديث ١٩٧).

٢- راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩: ٣٤٤ / دار احياء التراث العربي - بيروت.

إذن فسيف عليﷺ: رمز ـ في العبارة الأدبية ـ للإخلاص الإيماني و الجهاد الإسلامي و شجاعة أهل اليقين الذين يستأنسون بالموت استئناس الطفل بمحالب أمّه!

فعصا موسىٰ و سيف عليﷺ رمز لاجتماع التأييد الربانيّ الغيبيّ مع القوة الجهادية و الشجاعة الإيمانية، اللذين مع اقترانهما يكون النصر!

و لكنّ المنافقين لايفقهون!

أمّا ما نسبه ناصر القفاري إلىٰ دولة الآيات ـ حسب تعبيره! ـ من التعاون مع اليهود! فقد صحَّ المثل قديماً: رمتني بدائها و انسلّت!!

تُرىٰ هل يخفىٰ علىٰ كلّ ذي بصيرة و وعي و دراية سياسية أنّ الدولة المعادية للكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين حقّ العداء هي الجمهورية الإسلاميّة في إيران و أنّ جميع حكومات منطقة قلب العالم الإسلامي ذات علاقات وطيدة مع هذا الكيان الغاصب مُعلَنة أو خفيّة، و هل نسي ناصر القفاري أنّ أوّل قرار صدر عن زعماء الثورة الإسلامية و قادتها في ايران بعد انتصار الثورة هو قطع العلاقات مع العدوّ الصهيوني و كيانه السياسي إسرائيل، و إخراج أعضاء السفارة الإسرائيلية من إيران، و تسليم السفارة إلى منظمة التحرير الفلسطينية؟

فهل يُسلم القفاري لهذه الحقيقة الواضحة كما الشمس في رابعة النهار فيؤمن بها؟ أم يُنكسُ على رأسه ـ كماالعادة ـ فيتعامىٰ عنها!؟ و ربّما يشتدُّ به غباؤه الخارق فيقول: بما أنّ الشيعة يعملون بالتقيّة

فلايبعد أن يكون هذا من مصاديق تعاون الشيعة مع اليهود!!

هكذا! و شرّ البليّة ما يضحك!

ثُمَّ لنسأل القفاري: من أخرج إسرائيل مرغمة خاسئة منهزمة من جنوب لبنان؟ هل تمّ ذلك ببطولة حكّام الأنظمة العربية و أمرائها أم ببطولة شباب الشيعة في جنوب لبنان (حزب‌الله)؟

أولئك الشباب المؤمنون الذين بدأوا جهادهم المقدّس لتحرير بلادهم من الإحتلال اليهودي أواسط الثمانينات من القرن العشرين الميلادي، متوكّلين على الله تبارك و تعالى، طالبين الشهادة في سبيله، فراع إسرائيل اذ ذاك أنها أمام عدوّ جديد صلب مستميت، لاتأخذه في‌الله لومة لائم، حتّىٰ حارت إزاءه ماذا تصنع و هو يشتري الموت!؟ حتّىٰ إذا تتابعت العمليات الفدائية الإسلامية و تعاظمت الخسائر اليهودية، لم‌تجد إسرائيل بُدّاً من الإنسحاب مخزيّة مدحورة!

و لئن أنكر القفاري هذه الحقيقة الساطعة، فليس يصحُّ في الإفهام شيء ـ بعدها ـ إذا احتاج النهار إلى دليل! ثمّ هل يعلم القفاري أنّ التراث الروائي الشيعي يصرّح بأنّ الشيعة هم الذين سيقضون على اليهود؟

فليطالع القفاري هذه الحقيقة في هذا التراث بتأمّل و إنصاف!!، وليته يبقىٰ حيّاً إلى حين تحقق ذلك ـ زوال إسرائيل ـ لعلّه يؤمن بتلك الآية يومذاك فيكسر قلمه الجاني على إخوانه الشيعة!!

٨ـ هل يلعن الشيعة الأمّة الإسلامية كُلّها؟

يقول القفاري: «و لعن الأمّة الإسلاميّة و تكفيرها ممّا استفاض في كتب الشيعة!، و لذلك فإنّ أدعية الزيارة و المشاهد التي يلهج بهاالشيعة و يردّدونها لاتخلو من لعن لهذه الأمّة المباركة الوسط!

ففي زيارة أميرالمؤمنين عليّ يقولون: «لعن الله من خالفك، و لعن الله من افترىٰ عليك و ظلمك، و لعن الله من غصبك، و لعن الله من بلغه ذلك فرضي به، أنا إلى الله منهم بريء لعن الله أمّة خالفتك، و أمّة جحدتك، و جحدت ولايتك و أمّة تظاهرت عليك، و أمّة حادت عنك و خذلتك، الحمدُلله الذي جعل النار مثواهم و بئس الورد المورود، و بئس ورد الواردين... أللّهمّ العن الجوابيت والطواغيت و الفراعنة، و اللاّت و العزّىٰ، و كلّ ندٍّ يدعىٰ من دون الله، و كلّ مفترٍ، أللّهمّ العنهم و أشياعهم و أتباعهم و أولياءهم و أعوانهم و محبيّهم لعناً كثيراً...»[١]

و هذه اللعنات التي تجري على ألسنة هؤلاء مكان التسبيح و التهليل لها آثارها في تعبئة نفوسهم حقداً و كراهية للأمّة و دينها...»[٢]

الملفت للإنتباه هنا أيضاً ـ بعد مراجعتنا لكتاب من لايحضره الفقيه ـ أنّا وجدنا مقطع (اللعن) في متن هذه الزيارة المباركة يبدأ بعبارة: «**و لعن الله من قتلك**» ثمَّ تأتي بقيّة العبائر الأخرىٰ، لكنّ

١- نقل القفاري هذا النص عن كتاب من لايحضره الفقيه: ٢: ٣٥٤.
٢- أصول مذهب الشيعة: ٢: ٩١١ ـ ٩١٢.

القفاري حذف العبارة الأولىٰ!! ثم حين وصل في داخل المتن إلى عبارة «**و أمّة قتلتك**» حذفها أيضاً!! ثمّ حين وصل إلى عبارة: «**اللّهمّ العن قتلة أنبيائك و قتلة أوصياء أنبيائك بجميع لعناتك و أصلهم حرّ نارك**» حذفها أيضاً!![1]

ماذا أراد القفاريّ هنا من وراء هذا الحذف المتعمّد على جاري عادته!؟

لقد أراد أن يغيّر جوّ مقطع هذا اللعن الخاص بمن قاتلوا أميرالمؤمنين عليّاًعليه السلام و تظاهروا عليه و جحدوا ولايته و حادوا عنه، ليخلق منه جوّاً آخر يُستظهر منه أنّ اللعن يشمل الأمّة كلّها منذ وفاة النبيّصلى الله عليه وآله إلى يوم شهادة أميرالمؤمنين عليّعليه السلام.

و قد أراد القفاري بهذا أيضاً أن يستثير و يستفزّ المخاطب السنّي ضد أخيه الشيعي، لكنّه غفل عنّ أنَّ هذه الأمّة الإسلاميّة المباركة لم تزل حيّة واعية لما يُريدبها (دعاة التفريق)، و لم يزل فيها مِن أبنائها من يستطيع كشف ألاعيبهم، و يرجع المتون إلىٰ مصادرها و أصولها ليفضح مدى الحذف و التشويه و التلاعب!

إنّ الأصل الصحيح التام لهذا المتن كاشف عن أنّ المراد بهذا اللعن ليس جميع الأمّة الإسلامية، بل أولئك الذين تظاهروا على أميرالمؤمنين عليعليه السلام و قاتلوه، و ما زالوا على مخالفته و حربه حتّىٰ مضىٰ شهيداً.

١- راجع: من لايحضره الفقيه: ٢: ٣٥٤

و إخواننا أهل السنّة يعتقدون بأنّ علياًعليه السلام رابع الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، و أنّ الخارج على إمام زمانه باغ، و مفرّق لكلمة هذه الأمّة و شاقّ لعصا وحدتها.

فهل لعن أمثال هؤلاء البغاة لعن للأمّة الإسلاميّة كلّها!؟

ثمَّ إنَّ ما ورد في هذا المتن من مفاهيم و عناوين ورد بصيغة عامة غير مقيّدة، لكننا نجد القفاري في حاشية كتابه يصرفها إلىٰ حيث يشتهي و يقيّدها كما يهوىٰ، حرصاً على الإستفزاز و الإثارة، فيعلّق على كلمة «ظلمك و غصبك» قائلاً: «الظلم و الغصب عندهم هو تولية أبىبكر و عمر و عثمان الخلافة»[1]، و ليس في النصّ ما يشير إلى هذا!

و يقول بصدد عبارة: «ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به»: «أي من رضي بخلافة أبىبكر، لأنّه رضي ـ بزعمهم ـ بالظلم و الغصب، فيشمل جميع أمّة محمّد ما عدا غلاة الشيعة!»[2]، و ليس في النص ما يوحي بهذا!

و يقول بصدد «أللّهمّ العن الجوابيت و الطواغيت و الفراعنة و اللاّت و العزّىٰ و كلَّ ندّ يدعىٰ من دون الله...»: «الجوابيت... إلخ: هم في اعتقادهم خلفاء المسلمين و لاسيما الخلفاء الثلاثة، و الخلفاء الأمويون، و الندّ الذي يُدعىٰ من دون الله هو الإمام الذي يبايع دون

١- راجع كتاب أصول مذهب الشيعة: ٢: حاشية الصفحة ٩١١
٢- نفس المصدر

أئمتّهم الاثني عشر»[١] و ليس في النص ما يشير إلى هذا!

و هو في كلّ هذه التفسيرات التي يفرضها على هذا المتن و يلصقها به إلصاقاً، يزعم أنّ هذه المعاني التي حملّها على هذا المتن مستفادة من بطون بعض كتب الشيعة![٢]

إنّ هذا التفسير القسري الذي حاول القفاري أن يفرضه على هذا النصّ ـ بعد اقتطاعه لبعض عباراته و حذفها منه ـ يأباه الجوّ الحقيقي لهذا النصّ في ضمن الجوّ الكلّي لمتن هذه الزيارة التي يرويها الشيخ الصدوقﷺ في كتابه[٣]، و إنّ من يطالع تمام متن هذه الزيارةليكتشف بسهولة الغرض السّيئ من وراء محاولة القفاري إخراج هذا الجزء من متن الزيارة عن أصل جوّها العام طمعاً في اثارة المسلم السنّي ضد أخيه المسلم الشيعي!

و إلاّ هل يأبىٰ أهل الغيرة الدينية من إخواننا أهل السنّة أن يلعنوا قتلة أميرالمؤمنين عليعليه السلام و قتلة الحسن و الحسين و أئمّة المسلمينعليهم السلام، و قتلة الأنبياء و الأوصياء!؟[٤]

أبداً! إنّ أهل السنّة حقاً لايأبون أن يلعنوا من لعنهم الله و رسولهﷺ. و ممّا يثير العجب أنّ هذا القفاري و هو يدّعي لنفسه أنّه مسلم موحّد، و يرمي المسلمين الآخرين بالشرك و يصفهم

١- نفس المصدر

٢- راجع: أصول مذهب الشيعة: ٢ / حاشية الصفحة ٩١١.

٣- راجع: كتاب من لايحضره الفقيه: ٢: ٣٥٢ ـ ٣٥٦ رقم ١٦١٣ / ٢ ـ نشر دار الأضواء ـ بيروت

٤- انظر هذه الفقرات من متن الزيارة

بالمشركين، قد اندفع هنا بلا شعور و لاتحفّظ ليدافع عن الجبت و الطاغوت و اللاّت و العزّىٰ و الفراعنة ـ و كأنّ هؤلاء عنده جزء من الأمّة الإسلامية أو كلّ الأمّة الإسلاميّة!! ـ ليتّهم الشيعة بأنّهم يكفّرون الأمّة الإسلاميّة جمعاء و في كلّ عصورها!!

٩ ـ هل كتاب «المراجعات» افتعال شيعي و مكيدة رافضية!؟

قال القفاري «ولقد أخرجت المكتبة الشيعية «المعاصرة» كتباً للدعوة للتشيّع و نشره بين أهل السنّة... و لعلّ المطّلع علىٰ هذه الكتب يُدرك أنّ واضعها أحد رجلين: إمّا زنديق ملحد هدفه إضلال عباداللّه بالكذب و الخداع!، أو رافضي جاهل استحلّ باسم التقيّة كلّ شيء!... و من أبرز الأمثلة على ذلك كتاب يُسمّىٰ «المراجعات» وضعه آيتهم العظمىٰ عبدالحسين شرف‌الدين الموسوي... و لقد اهتمّ دعاة «الرفض» بهذا الكتاب، و جعلوه وسيلة من أهمّ وسائلهم التي يخدعون بهاالنّاس، أو بعبارة أدقّ يخدعون به أتباعهم و شيعتهم! لأنّ أهل السنّة و لاسيّما أهل العلم فيهم لايعلمون شيئاً عن هذا الكتاب!! و لاغيره من عشرات الكتب التي تخرجها مطابع الروافض!... أللّهم إلاّ من له عناية و اهتمام خاص بمذهب الشيعة!!... الكتاب عبارة عن مراسلات بين شيخ الأزهر سليم البشري و هو ـ بزعم الرافضي ـ يمثّل أهل السنّة و يستدلّ لمذهبها!! و بين عبدالحسين و هو يمثّل الشيعة و يستدلّ لمذهبها... و انتهت هذه المراسلات بإقرار شيخ الأزهر بصحّة مذهب الروافض و بطلان

مذهب أهل السنّة!!... و الكتاب بلا شك مكيدة رافضيّة، و مؤامرة مصنوعة لترويج مذهب الرفض».[1]

في هذا المقطع المنتقىٰ نشاهد القفاري ـ و قد فقد اتزانه و خرج عن طوره! ـ قد أساء إساءات متعدّدة و افترىٰ افتراءات أخرىٰ! لقد أساء إلى علماء أهل السنّة و وصفهم بأنّهم لايعلمون شيئاً عن هذا الكتاب و لاغيره من عشرات الكتب التي تصدرها مطابع الشيعة! وهذا ليس من شأن أهل العلم الذين هم أولىٰ الناس بالإهتمام بجميع المسلمين و بفرقهم، و بمستجّدات التيار الديني الإسلامي بشكل عام!

ثمّ أساء إلى المرحوم الشيخ الجليل و العالم النحرير مرجع أهل السنّة في زمانه سماحة شيخ الأزهر سليم البشري، فقال مستخفّاً به: «و هو ـ بزعم الرافضي ـ يمثل أهل السنّة و يستدلّ لمذهبها!!»،

و كأنّ هذا القفاري لايرىٰ الشيخ البشري أهلاً لهذا الموقع الشريف! و ما عشت أراك الدهر عجباً!

ثمّ افترىٰ على الشيخ البشري بأنّه أقرّ بصحة مذهب الشيعة و بطلان مذهب السنّة!! و إنّ من يُطالع الكتاب (المراجعات) لايجد لمدّعىٰ القفاري أيّة صحّة، بل كلّ ما انتهت إليه هذه المراجعات هو أن الشيخ البشري كتب قائلاً:

«١ـ لاتحكم محاكم العدل بضلال المعتصمين بحبل أهل البيت،

١- راجع: كتاب أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٣٦٣ ـ ١٣٦٤

الناسجين علىٰ منوالهم، و لاقصور في أئمّتهم عن سائر الأئمّة في شيء من موجبات الإمامة.

٢ـ و العمل بمذاهبهم يُجزي المكلّفين و يُبريء ذممهم، كالعمل بأحد المذاهب الأربعة بلاريب.

٣ـ بل قد يقال إنّ أئمّتكم الإثني عشر أولىٰ بالإتّباع من الأئمّة الأربعة و غيرهم، لأنّ الإثني عشر كلّهم على مذهب واحد، قد محّصوه و قرّروه بإجماعهم، بخلاف الأربعة فإنّ الإختلاف بينهم شائع في أبواب الفقه كلّها، فلا تُحاط موارده و لاتُضبط، و من المعلوم أنّ ما يمحّصه الشخص الواحد لايكافي في الضبط ما يمحّصه إثناعشر إماماً.

هذا كلّه ممّا لم تبق فيه وقفة لمنصف، و لاوجهة لمتعسّف. نعم، قد يشاغب النواصب في إسناد مذهبكم إلى أئمة أهل البيت، و قد أكلّفكم ـ فيما بعد ـ بإقامة البرهان على ذلك.

٤ـ و الآن ألتمس مازعمتموه من النصّ بالخلافة على الإمام علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، فهاته صريحاً صحيحاً من طريق أهل السنّة، و السلام»[١]

فأين هذا ـ على صراحته! ـ من فرية القفاري بأنّ الشيخ البشري أقرّ ببطلان مذهب أهل السنّة!؟

أمّا الفرية الأخرىٰ، فقول القفاري بصدد كتاب المراجعات

١-كتاب المراجعات: ١٠٩ / المراجعة رقم ٥ / دار المرتضىٰ.

الشريف: «والكتاب بلاشك مكيدة رافضية، و مؤامرة مصنوعة لترويج مذهب الرفض!»

و يبدو أنّ القفاري لم‌يراجع كتاب المراجعات! و لم‌يطالع سند هذا الكتاب! و لو كان قد راجع هذا الكتاب في طبعته العشرين التي صدرت عن مطبوعات النجاح بالقاهرة سنة ١٩٧٩ م، مع مقدّمة الدكتور حامد حفني داود و هو من أساتذة كلّية الألسن ـ جامعة عين شمس ـ في القاهرة، و محمّد فكري عثمان أبو النصر و هو أحد علماء الأزهر، لما تجرّأ القفاري على اجتراح هذه الفرية، و لتيقّن أنّ هذا الكتاب الشريف كان حقاً مناظرة رائعة بين عالمين كبيرين من علماء دنيا الإسلام، كانت غايتها طلب الحقيقة من خلال المنطق الصحيح التام و الإستدلال القوي و الإنصاف، و لأيقن القفاري أيضاً أنّ الشيعة ـ ليسوا بحاجة إلىٰ اصطناع كتب موهومة ـ مع ما عندهم من الدلائل القوية و البراهين المحكمة و الشواهد الكثيرة من كتب أهل السنّة في المواضيع المختلفة.

* الإستناد إلى الأحاديث الضعيفة و الشاذة عند الشيعة!!

و من الملفت للإنتباه و المثير للتعجّب أيضاً في كتاب القفاري هو أنّ أكثر رجوعه إلى الكتب الروائية الشيعية، دون الكتب الكلاميّة الكاشفة عن أصول العقائد! كما أنّ أكثر اختياره ـ عن عمدٍ و إصرار ـ للروايات و الأحاديث التي هي في نظره مجلبة للشبهة، أو الروايات و الأحاديث الضعيفة الشاذة، فكان ينتقيها انتقاءً مدروساً مغرضاً و يعرضها كأصل من أصول مذهب الشيعة!

في حين أنّ هناك روايات و أحاديث صحيحة و كثيرة ـ يعتمدها الشيعة ـ تقع قبال تلك الروايات و الأحاديث الضعيفة أو الشاذّة كان قد أعرض عنها القفاري عامداً لأنها لاتخدم الغرض الذي من أجله ألّف كتابه المسموم هذا!

إنّ صرف وجود حديث ضعيف أو شاذّ ـ أو أكثر من حديث ـ في جامع من الجوامع الحديثية الشيعية ليس دليلاً على أنّ الشيعة تعتمده و تعمل على طبقه، لكنّ القفاري أغمض طرفه عامداً عن هذه الحقيقة، ليظهر لقرّاء كتابه ـ و جلّهم ممّن لا يعلمون عن مذهب الشيعة إلاّ ما يسمعونه من أعدائه ـ أنّ الشيعة ترتكز على مثل هذه

الروايات الضعيفة أو الشاذّة في اعتقادها و فقهها!

لقد أخذ القفاري بشكل خاص و بكثرة عن كتاب بحارالأنوار للعلاّمة الشيخ محمد باقر المجلسي، و المجلسي نفسه يعترف في كتابه هذا أنه حاوٍ على روايات قد تكون صحيحة أو غير صحيحة، و لاشك أنّ إحدىٰ غايات المجلسي من وراء كتابه هذا هو حفظ الروايات و الأحاديث عن الفقدان و الضياع، و هذه الغاية بذاتها غاية مشكورة مأجورة إن شاءالله تعالى، و أكثر علماء الشيعة الإمامية يقولون: إنه لايمكن العمل بروايات كتاب البحار أو أي كتاب حديثي آخر بلا تحقيق و تمحيص، فإنّ البحر يحتوي على الدرّ و الصدف.[1]

و هذا المعنى ينطبق أيضاً على الجوامع الحديثية السنيّة، ففيها روايات و أحاديث كثيرة ضعيفة و شاذة، و لايمكن القول أنّ مؤلّف الجامع الروائي الكذائي مثلاً يعتقد بكلّ ما فيه! بل له فضل الجمع والحفظ، أمّا إعتقاداته و فقهه فيؤخذ و يُعرف من الكتب الإعتقادية

١- العجيب أنّ القفاري يعترف بأنّ نظر أكثر الشيعة بصدد الكتب الأربعة المعتبرة عندهم هو أنهم لايذهبون إلىٰ القول بصحة جميع مافيها، حيث يقول: «فالأخباريوّن يمنعون الإجتهاد و يعملون بأخبارهم؛ و يرون أنّ ما في كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة كلّها صحيحة قطعية الصدور عن الأئمة، و يقتصرون على الكتاب (أي القرآن) و الخبر، و لذلك عرفوا بالأخباريّة نسبة إلىٰ الأخبار، و ينكرون الإجماع (و دليل العقل)، و لايرون حاجة إلى تعلّم أصول الفقه، و لايرون صحته. و يقابلهم الأصوليون أو المجتهدون، و هم القائلون بالإجتهاد و بأنّ أدلّة الأحكام: الكتاب و السنّة و الإجماع و دليل العقل، و لايحكمون بصحّة كلّ ما في الكتب الأربعة... و يمثلون الأكثرية» (راجع: أصول مذهب الشيعة: ١: ١٤٢: ١٤٣.)

(الكلاميّة) و الكتب الفقهيّة التّي ألّفها أو يتبنّاها.

و الفقيه (المجتهد) حينما يمارس عملية الإستنباط لابدّ له من مراجعة الكتب الرجالية المتكفّلة بتوثيق رواة الأحاديث أو تضعيفهم حتى يميز بين الصحيح و السقيم، ثمّ يستند إلىٰ ما تمّت لديه الحجّة بينه و بين الله فيبدي رأيه الفقهي و يفتي بذلك، معرضاً عن الحديث الضعيف أو الشاذ الفاقد للإعتبار حسب ما تبنّاه في مبحث حجيّة خبر الواحد في علم الأصول.

و لم يُعرف أو يُسمع في تاريخ الفقهاء و الفقاهة أنّ فقيهاً ـ حينما صحّت عنده رواية في مبحث فقهي، و رأىٰ ضعف غيرها في نفس المبحث ـ هجم على مؤلّف الجامع الروائي و رماه بالشرك أو الكفر إذا كان مدلول الرواية الضعيفة مخالفاً لمذهب الفقيه و رأيه! أو اتهمه بالخروج عن الدين لمجرد نقل الرواية الضعيفة في جامعه!

إنّ المفروض في التعاطي العلمي أن يُعرض هذا الفقيه عن الحديث الضعيف و يتركه مع كامل التقدير و الإحترام و الإمتنان لذلك المحدّث صاحب الجامع الروائي، لما بذله من جهود مضنية وما لاقاه من صعوبات و مشاق في سبيل جمع الأحاديث والروايات، ثم تدوين الكتاب الجامع حفظاً لها من فقدان و الضياع.

و الإنصاف و الموضوعيّة يوجبان أن لايُسند مدلول الحديث الضعيف أو الشاذّ إلىٰ مذهب المحدّث صاحب الجامع الروائي، ولايُتّخذ مستمسكاً عليه، و لايُشنّع عليه بالشرك أوالكفر لمجرّد نقله لهذا الحديث الضعيف أو الشاذّ في كتابه.

و متىٰ كان مجردّ نقل الحديث دليلاً تاماً على كشف رأي ناقله، أو طريقاً لمعرفة عقيدته و مذهبه!؟

إنّ من يقرأ كتاب ناصر القفاري يتّضح له بجلاء تام أنّ هذا القفاري قد تنكّر لهذه الحقائق المتسالم عليها عند أهل العلم، و كأنّه لا يعرف شيئاً عن علم الحديث، و طريقة المحدّثين، و أسلوبهم في تدوين الكتب الحديثية، و كيفية جمع الأحاديث و الروايات!

فعمد مصرّاً على إلصاق تهمة الشرك و الكفر و الإلحاد بُجلّ مؤلفي الشيعة و محدّثيهم، و بأسلوب خرج به هذا القفاري عن أدنىٰ لوازم الحفاظ الأدبي و الأخلاقي!

تُرىٰ هل يمكن لهذا القفاري أن يُنكر أو أن يتستّر على العدد الكثير جدّاً من الروايات و الأحاديث الموجودة في الجوامع الحديثية السنيّة و الدّالة على وقوع التحريف في القرآن، و الروايات الدالة على التجسيم، و الروايات التي تتضمّن الإهانة للأنبياء عليهم السلام و لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله!؟

فإذا أخذنا بقياسه الخاطي المتعمّد ـ و العياذبالله ـ لوجب أن نقول كما يقول هو بأنّ أصحاب (مؤلفي) تلك الجوامع يعتقدون بمثل هذه الروايات!

و إذا كان الأمر كذلك ـ و ليس كذلك! ـ فلن ينجو إذن أحدٌ من محدّثي المسلمين سنّة و شيعة من تهمة الشرك و الكفر، ذلك لأنّ جميع المصادر الحديثية لاتخلو من مجموعة من الروايات الضعيفة أو الشاذّة المسببّة للأخذوالردّ، و الرفض و القبول، و الإعتراض

والموافقة! و معنىٰ هذا أنّ السيّاف ناصر القفاري ـ بأمر من يأتمر بأمره! ـ سيقطع أعناق جميع محدّثي الإسلام سنّة و شيعة بعد أن يصدر عليهم الحكم بجريمة الشرك و الكفر و الالحاد!!

إنّ من يتبع هذه الطريقة المتحجّرة و هذا المنهج الأرعن الفاقد لأصول الخلق و الأدب: إمّا ساذج جاهل، غير عارف بحقائق التعاطي العلمي و بأساليب الكلام و الحجج، و لامتأدب بآداب أهل العلم و المعرفة، أو حاقد عنود متعصّب قد باع آخرته بالأرذل الأدنىٰ من حطام الدنيا الفانية طمعاً فيما قد يسخو ـ أو لا يسخو ـ به السلاطين علىٰ مثله! أعاذنا الله و جميع المؤمنين من هذه العاقبة.

* **الخلط بين مذهب الشيعة الإمامية (مذهب اهل البيت عليهم السلام) و مذاهب اخرىٰ**

المفروض أنّ الموضوع الأساس لهذا الكتاب هو عرض و نقد مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية الذين يعتقدون بإمامة و خلافة الأئمة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه و آله، و هم علىٰ الترتيب: الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم ابنه الإمام الحسن عليه السلام، ثمّ أخوه الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ! ابنه عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام عليّ الرضا، ثمّ ابنه الإمام محمد الجواد عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام عليّ الهادي عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ثمّ ابنه الإمام محمّد بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام، الذي هو حيٌّ غائب عن الأنظار إلىٰ أن يأذن الله له في ظهوره، فهو الإمام القائم بالأمر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

و المفروض أنّ مهمة عرض و نقد مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية التي يضطلع بها كتاب ناصر القفاري قائمة على أساس دراسة و ثائقيّة و علمية معمّقة لاتخلط بين المذهب الذي هو أصل موضوع

الكتاب و بين المذاهب الأخـرى التـي نسـبتها إلى هـذاالمـذهب كنسبتها إلى مذاهب أهل السنّة الأربعة الأخرىٰ، في الاشتراك ببعض العقائد و المباحث الكلامية و الفروع الفقهية، و في اختلافها في كثير أو قليل من ذلك.

غير أنّ القارئ الخبير لايحتاج إلى تدقيق طـويل ليكـتشف أنّ كتاب نـاصر القـفاري قـد خـلط بـين مـذهب الشـيعة الامـاميّة الإثني عشرية و بين مشرب أولئك الذين يـقولون بألوهـيّة الإمـام عليّ بن أبى طالب عليه السلام، مع أنّ الشيعة الإمامية الإثني عشـرية، تـبعاً للإمام عليّ عليه السلام خاصة و لأئمتهم الباقين عليهم السلام عامّة بُرآء ممّن يـقول بألوهية عليّ عليه السلام أو ألوهيّة أيّ إمام آخر من البشر، و قد أمر الإمام عليّ عليه السلام في زمنه باستتابة من قال بألوهيته أو بإحراق من لم يـتب بالنار.(١)

كما خلط ناصر القفاريّ أيضاً بين مذهب الإماميّة الإثني عشرية و بين مذهب الزيدية القائلين بإمامة كلّ من قام بالسيف و لو لم يكن منصوباً من قبل الله تعالى! دون من لم يقم بالسيف و إن كان إمـاماً منصوباً من قبل الله تعالى! و كم هو الفرق كبير و أساسي بين هؤلاء و بين الشيعة الإمامية الإثني عشرية الذين يؤمنون بأدلّتهم القاطعة أنّ أئمّتهم منصوبون من قبل الله تبارك و تعالى، و أن قيام بعضهم أو عدم قيام بعض آخر منهم إنّما هو تنفيذ لأمر الله تـعالى و امـتثال

١- و الشيعة الامامية تقول بكفرهم. راجع جواهر الكلام فى شرح شرائع الاسلام، الشيخ محمد حسن النجفى ج ٢ / ٤٥٩ مؤسسة المرتضى العالمية، لبنان.

لمشيئته.

و خلط ناصر القفاري أيضاً بين الشيعة الإماميّة و بين الإسماعيلية الذين يعتقدون بستّة فقط من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ذلك لأنهم يرون أنّ إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام هو الإمام بعد أبيه، و قد رفعه الله إليه! فهم لايعتقدون بإمامة الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام و الأئمّة من بعده عليهم السلام، مع أنّ الشيعة الإماميّة الإثني عشرية يعتقدون بأنّ من أنكر واحداً من أئمّة أهل البيت عليهم السلام فقد أنكرهم جميعاً!

*** التعليل السّيىء لنظرات الشيعة الموافقة لنظرات أهل السنّة!!**

من الملفت للإنتباه و التعجّب أنّ القفاري يعمد إلى ما يقرّره علماء الشيعة في متون كتبهم على أساس الإجتهاد الصحيح[١] من نظر فقهي أو اعتقادي موافق و منسجم مع نظر أهل السنّة، فيصرّ على تعليله تعليلاً سيئاً مغرضاً قائماً على سوء الظنّ و خبث السريرة و الطويّة!

فترىٰ القفاري ـ فضلاً عن تكبيره و تضخيمه لنقاط الإختلاف و النزاع من أجل الإيقاع بالشيعة و تنفير السنّة منهم ـ يلجأ عامداً

١-إنّ من يطالع مصادر الشيعة و متونهم الإعتقادية و الفقهية بتأمّل و دقّة و انفتاح ـ بلا رفض مسبّق و استخفاف ـ تتجلّىٰ له هذه الحقيقة بوضوح تام و هي: أنّ علماء و مفكّري الشيعة لايظهرون حكماً أو اعتقاداً و لايتبتّونهما إلاّ على أساس دليل محكم و مستند قويّ، و لايقيمون مبانيهم الإعتقادية و الفقهية إلا علىٰ اساس الإجتهاد الذي يستمّد أصوله و مقوّماته من القرآن الحكيم و السنّة الشريفة.

إلى تفسير و تعليل نقاط الإتفاق و الإلتقاء تفسيراً سيئاً و تعليلاً مغرضاً، متّهماً الشيعة بأنّ هذا التوافق منهم مع أهل السنّة ليس أمراً على الحقيقة! بل هو إمّا عن محمل التقية منهم! أو عن حيلة و نفاق حسب تعبيره!

ليصل آخر المطاف إلى هذه النتيجة التي يجتهد في فرضها فرضاً علىٰ المسلم السنّي و يحمّله إياها بالإكراه و بلاأساس، فيقول: «إنّ من كان أذانه غير أذاننا، و صلاته غير صلاتنا، و طلاقه غير طلاقنا، و عتقه غير عتقنا، و حجّته غير حجّتنا، و فقهاؤه غير فقهائنا، و إمامه غير إمامنا، و قراءته غير قراءتنا، و حلاله غير حلالنا، و حرامه غير حرامنا، فلا نحن منه و لاهو منّا.»[١]

و ترىٰ القفاري بعد أن يذكر أسماء علماء الشيعة الكبار القائلين بعدم وقوع التحريف في القرآن، يكتب قائلاً: «إنّ القول الحق هو تقيّة من الشيعة»[٢].

من هنا تراه لايألو جهداً في إلصاق تهمة «القول بتحريف القرآن» بالشيعة.[٣]

و تراه في موقع آخر بعد أن ينقل نظر المرحوم السيد عبدالحسين شرف‌الدين أعلاالله مقامه بصدد عدم تكفير الصحابة، يعمد إلى حمل هذا النظر على التقية و يعلّله بها فيقول: «كما أنّ

١ـ أصول مذهب الشيعه، ٣: ١٢٤٥.
٢- راجع: نفس المصدر: ج ١ / ٢٨٨.
٣- راجع: نفس المصدر: ٣: ١٢٠٣ ـ ١٢١١.

الإثني عشرية لمهارتها في التقيّة، قد خفي أمرها حتىٰ نجد في شرح صحيح مسلم القول بأنّ الإماميّة لاتكفّر الصحابة و إنّما ترىٰ أنّهم أخطأوا في تقديم أبي بكر.»[١]

و تراه أحياناً يصرُّ في تفسيره لأقوال بعض علماء الشيعة على أنّ المقصود ليس الظاهر من المتن، بل أمر آخر! هو ما تشتهيه أهواء و مخيلة القفاري!

فهو ـ على سبيل المثال ـ ينقل فقرة من كتاب الحكومة الإسلامية للإمام الخميني‌ﷺ هي: «توجد نصوص كثيرة تصف كلّ نظام غير إسلامي بأنّه شرك، و الحاكم و السلطة فيه طاغوت، و نحن مسؤولون عن إزالة آثار الشرك من كلّ مجتمعنا المسلم و نبعدها تماماً عن حياتنا...»[٢]

فيقول القفاري معلّقاً على هذا النصّ: «فأنت ترىٰ أنّ مفهوم الشرك عنده هو أن يتولّىٰ على بلاد المسلمين أحد من أهل السنّة، فحاكمها حينئذٍ مشرك، و أهلها مشركون، فدين هؤلاء «الولاية» لاالتوحيد، و لذلك فإنّ الشرك قد ضرب بجرانه في أقطارهم!»[٣]

هكذا يحرّف القفاري الكلم عن مواضعه! و يفسر المتون تفسيراً قسرياً بعيداً عن محتواها! و إلاّ هل يشكّ قاريٌ عربيّ منصف بأنّ المقصود من كلام الإمام الخميني‌ﷺ هو النظام اللا إسلامي الذي

١ـ نفس المصدر ١٣/١.
٢- راجع: الحكومة الإسلامية: ٣٣ ـ ٣٤
٣- أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٣٨٤.

لا يحكم بالشريعة الإسلاميّة! و أنّ الطاغوت هو الحاكم بغير الإسلام سواء أكان غير مسلمٍ او مسلماً سنياً أم شيعيّاً بلافرق!

*** التنكّب عن الطريق الصحيح لدراسة المذاهب!**

إنّ دراسة أيّ مذهب دراسة صحيحة تامّة تفرض علىٰ الدارس أن يتعرّف علىٰ أصول و أسُس هذا المذهب التي يبتني و يقوم عليها، معرفة صحيحة تامّة، من خلال مراجعة مصادر هذا المذهب في الإعتقادوالفقه و الحديث و الأصول، و معرفة آراء علماء هذا المذهب الذين تسالم أتباع هذا المذهب علىٰ علميتهم و تفضيلهم و صلاحيتهم لتمثيل هذا المذهب، و معرفة ما اتفق عليه هؤلاء الأعلام من علماء المذهب، و معرفة المشهور فيما بينهم في مالم يتّفق عليه جميعهم، و معرفة طرقهم التي يعتمدونها في الأخذ عن مصادرهم الحديثيةو العمل بما فيها، و ركائزهم أو مبانيهم في التمييز بين الروايات من صحيحة و معتبرة و ضعيفة و شاذّة.

و لايحقّ لمن لم‌يلمّ بهذه المعرفة الضرورية أن يدّعي أنّه أهلٌ بالفعل لعرض و نقد هذا المذهب أو ذاك، فإذا ادّعىٰ ذلك فهو متجرّيء متجاوز لحدّه! كاشف عن جهله، و لاشكّ أنّ الشرائط اللازمة لهذا التأهلّ ليست بخافية علىٰ ناصر القفاري و لاعلى قسم العقيدة و المذاهب و المعاصرة في جامعة «محمدبن سعود»، و إذ قد

تصدّىٰ القفاري لمثل هذه المهمّة العلميّة قبل استكمال شرائطها و مقدّماتها ـ عن علم و عمد ـ إذن فهو قد تنكّب عن الطريق الصحيح لدراسة أيّ مذهب عن عمد و قصد!

تُرىٰ ماذا يصنع ناصر القفاري هذا ـ صاحب شهادة الدكتوراه من درجة الشرف الأولىٰ ـ إزاء رواية أو روايات ربّما كانت معتبرة أو صحيحة، منقولة في الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة الإماميّة الإثني عشرية، إلاّ أنَّ جُلّ علمائهم لايتمسكون بها![1] لسبب من الأسباب التي لم يُحط علماً بها هذا القفاريّ، أو لمبنىً من مبانيهم التي لم يتأهّل لاستيعابه هذا القفاريّ؟!

ماذا يصنع هذا القفاريّ صاحب الدكتوراه إزاء مسألة قد يدّعي بعض العلماء الإجماع عليها، في وقت يدّعي بعض آخر منهم الإجماع على ضدّها، و كلّ من هؤلاء في موقفه من هذه المسألة على ضوء مبناه الأصولي، الذي يجهله هذا القفاريّ تمام الجهل!

أفيقفُ القفاريّ علىٰ أحد هذين الإجماعين دون الآخر، فيأخذه و ينسبه إلىٰ المذهب متوهماً أنّ هذا هو المجمع عليه بلاخلاف عند علماء المذهب!؟

١-كمثل الروايات ا لواردة في طهارة الخمر، و هي روايات عديدة، الصحيحة منها على الأقل خمس روايات (أنظر: وسائل الشيعة: ١٠٥٧:٢ باب ٣٨ الأحاديث: ١٠و١٢و١٣و١٤ / و باب ٣٩حديث ٢) قال الفقيه و المرجع الكبير السيدمحسن الحكيم‌رحمه‌الله: «نعم، يدلّ علىٰ الطهارة جملة أخرىٰ قيل تزيد علىٰ عشرين حديثاً...» و ذكر أنّ هناك خمسة منها صحيحة السند (راجع: مستمسك العروة الوثقى: ١: ١: ٤٠)

و ماذا يصنع هذا القفاري إزاء رواية من الروايات التي ظاهرها القول بالتجسيم علىٰالله سبحانه، أو رواية ظاهرها إمكان رؤية الله سبحانه، و قد نقلها أصحاب الكتب الأربعة المعتبرة عند الشيعة أو بعضهم؟ هل يأخذها على ظاهرها ـ كما هو شأن الحنابلة[1] ـ مستأنساً بهذا الظاهر، ثمّ يزعم بأنّ ما يطفح به ظاهر تلك الرواية هو الرأي المشهور عند الشيعة، أو الرأي المجمع عليه عندهم، بدون الرجوع الىٰ عقائد الشيعة و منابعهم المعتمدة في الإعتقادات، أو مناقشة علمائهم في مثل هذه الروايات المتشابهة حتّىٰ يطّلع على ما يقوله العلماء في مثل هذه الروايات!؟

١ـ «غير خفيّ علىٰ أُولي الألباب: أنّ أحمدبن حنبل، إمام الحنابلة، كان معتقداً بأنّ الله جسم! و له أعضاء: كاليد، و الوجه، و العين، و يتمسّك لذلك بظواهر الآيات المتشابهة، و هكذا قال مالك بن أنس إمام المالكيّة. (راجع: الملل و النحل ج ١ ص ٩٣ و ١٠٤)، و قال الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٣٠١:

فانْ حنبلياً قلتُ قالوا بأنني ثقيل حلوليّ بغيض مجسّمٌ

... هذا... و كتب الحنابلة مشحونة بهذه الخرافات في الأمور الإعتقادية، حتىٰ أنّ أباالحسن الأشعري رئيس الأشاعرة تبعاً لقدوته أحمدبن حنبل قد عقد أبواباً لهذه المطالب في كتابه «الإبانة في أصول الديانة: ص ٣٦إلىٰ ٥٥»، و ذهب إلىٰ هذا المذهب الوهابيّون، و قدوتهم ابن تيميّة (راجع: العقيدة الحموية، في ضمن مجموعة الرسائل، ج ١ ص ٤٢٩، و منهاج السنّة ج ٢ ص ٢٤٠ إلىٰ ٢٧٨، و الرسائل الخمس المسمّىٰ بالهديّة السنية ص ٩٧ ـ ٩٩و في الرسالة الخامسة ص ١٠٥» (نهج الحق و كشف الصدق: ٥٥ / الحاشية رقم٢)

*** الإغماض عن ملاحظة جميع التفريعات المهمّة في المباحث!**

من مميزات المحقّق المتتبّع المدقّق في دراسة مذهب من المذاهب، أو عَلَمٍ بارز من أعلام العلماء، أو شخصية تاريخية مرموقة، أن تكون دراسته عميقة شاملة محيطة بكل جوانب و تفريعات موضوع الدراسة و تشعبات أبعادها.

غير أنّ من يقرأ كتاب «أصول مذهب الشيعة» لمؤلّفه ناصر القفاري هذا يلاحظ ـ خصوصاً بعد مراجعة مصادر كلّ موضوع ـ أنّ هذا الكتاب خال من كلّ لوازم و مقوّمات الدراسة العميقة الشاملة المحيطة، لأنه يجد أنّ مؤلّف هذاالكتاب مثلاً يأخذ صدر الكلام من دون ملاحظة ذيله، و بلاتأمّل كاف في صدره! فينسب إلىٰ صاحب هذا الكلام من القول المتعسف مالايرضاه صاحب الكلام، و ما لا يدلّ عليه الكلام بمجموعه من صدر و ذيل، أو تكون لمسألة ما عدّة فروع، بعضها قطعيٌّ قد اتفق عليه أهل العلم أجمعون، و بعضها مختلفٌ فيه، فيأخذ القفاري بالمختلف فيه و ينسبه إلى القائل اعتسافاً بلاروّية و لاتأمّل و تدبر! بل زوراً و افتراءً عليه!

فمثلاً من المسائل التي ركّز عليها هذا القفاري، و توسّع في

البحث عنها ـ كما يتخيل طبعاً ـ و تتبع فيها أقوال علماء الشيعة و رواياتهم! مسألة تحريف القرآن، التي لم ينصف القفاريُّ الشيعة في البحث عنها ـ كما سنبّينه بتوسّع في النقد التفصيلي لمباحث كتابه ـ و لكن متىٰ أنصف هذا الرجل الشيعة حتّىٰ نعتب عليه!؟

إنّ من يهدف إلى نقد أصل من أصول مذهب ما ـ بل في كلّ قضيّة أو مسألة ـ يجب عليه أن يحدّد أوّلاً محل النزاع، ثم يفحص رأي القائل الذي يريد نقد رأيه و يثبت بطلانه، أو يكشف عن نقائصه، بدقّة و تدبّر.

و التحريف عنوان عام ينطوي على معانٍ متعدّدة مختلفة، فلا يصحّ إسناده إلى مذهب أو نفيه عنه قبل تحديد المعنىٰ المقصود من التحريف.

فمن معاني التحريف: «نقل الشيء عن موضعه و تحويله إلىٰ غيره» و منه قوله تعالى: «من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه»(١) و لا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله، فإن كلّ من فسّر القرآن بغير حقيقته، و حمله على غير معناه فقد حرّفه، و نرىٰ كثيراً من أهل البدع و المذاهب الفاسدة قد حرّفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم و أهوائهم! و قد ورد المنع الشديد عن هذا التحريف، و ذُمَّ فاعله في الكتاب! و على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله و لسان أئمة أهل البيت عليهم السلام.(٢)

١- سورة النساء: الآية ٤٤.

٢- في الكافي، بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلىٰ سعد الخير:

و من التحريف القول بالزيادة! أي أنّ بعض ما في المصحف الشريف الذي بأيدينا ليس من كلام الله المنزل!

و هذا النوع من التحريف باطلٌ بإجماع المسلمين فلايقول بوقوعه أحدٌ منهم. و من التحريف أيضاً القول بالنقيصة! أي أنّ المصحف الذي بين أيدينا لايشتمل على جميع القرآن، الذى نزل من السّماء، و انّه قد ضاع بعضهم على النّاس! و المشهور المتسالم عليه بين علماء الشيعة و محققيهم بالدليل و البرهان هو عدم وقوع مثل هذا التحريف فى القرآن، نعم شذ بعضهم و هم نزر قليل.

أمّا علماء أهل السنّة فقد ذهب جمع منهم إلى القول بوقوع مثل هذا التحريف في القرآن،[1] قال الرافعي: «فذهبت جماعة من أهل

← «... و كان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، و حرّفوا حدوده، فهم يروونه و لايرعونه! و الجهّال يُعجبهم حفظهم للرواية، و العلماء يحزنهم تركهم للرعاية...»(راجع: الوافي: ٥: ٢٧٤).

١- من روايات أهل السنّة التي تقول بتحريف النقيصة مايلي، على سبيل المثال لاالحصر:

*: فيالبخاري: ٣: ١٧٢ و مسلم: ١: ٥٤٣ رقم ٢٤٤ «أنّالنبي سمع رجلاً يقرأ في المسجد، فقال الرسول: رحمهالله أذكرني كذا و كذا آيةأسقطتهن من سورة كذا و كذا».

*: و في الإتقان: ٢: ٤٠و٤١ أنّ نافعاً روىٰ عن ابن عمر قال: «ليقولّن أحدكم قد أخذت القرآن كلّه! و ما يدريه ما كُلّه؟ قد ذهب منه قرآن كثيرا و لكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر!»

*: و فيه أيضاً: و روىٰ عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: «كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمن النبي ـ ص ـ مأتي آية! فلمّا كتب عثمان المصاحف لمنقدر منها إلاّ ما هو الآن!»، و راجع ما رواه زرّبن حبيش عن أبي بن كعب في ما يرتبط بدعوىٰ نقص سورةالأحزاب أيضاً (منتخب كنزالعمال بهامش مسند أحمد: ٢:٤٣)

*: و ذكر السيوطي فيالإتقان: ١: ١٠١ قائلاً «أخرج ابن أشته في المصاحف عن الليث ←

الكلام ممّن لاصناعة لهم إلاّ الظنّ و التأويل و استخراج الأساليب الجدلية من كلّ حكم و كلّ قول إلىٰ جواز أن يكون قد سقط عنهم من القرآن شيء، حملاً ما وصفوا من كيفية جمعه».(١)

و قال الفقيه المحقّق و المرجع الكبير السيد الخوئي﴿ره﴾: «المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، و أنّ الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبيّ الأعظم﴿ص﴾،

←بن سعد قال: أوّل من جمع القرآن أبوبكر، و كتبه زيد... و إنّ عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها، لأنّه كان وحده»، و راجع نصّ ادّعاء عمر في رجم الشيخ و الشيخة في الإتقان أيضاً: ١: ١٢١ و كذلك في البخاري٨: ٢٦ و مسلم: ٥: ١١٦.

*: و روىٰ ابن أبي داود و ابن الأنباري، عن ابن شهاب قال: «بلغنا أنه كان أنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا وعوه، و لم يُعلم بعدهم و يُكتب...»(منتخب كنزالعمّال بهامش مسند احمدبن حنبل: ٢: ٥٠).

*: و روىٰ المسور بن مخرمة قال: «قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد فيما اُنزل علينا: أنْ جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرّة. فإنّا لانجدها!؟ قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن!»(الإتقان: ٢: ٤٢).

*: و قد نقل بطرق عديدة عن ثبوت سورتي الخلع! و الحفد! في مصحف ابن عبّاس و أبي بن كعب: «ألّلهمّ إنّا نستعينك و نستغفرك و نثني عليك و لانكفرك و نخلع و نترك من يفجرك ألّلهمّ اياك نعبد و لك نصلّي و نسجد و اليك نسعىٰ و نحفد نرجو رحمتك و نخشىٰ عذابك إنّ عذابك بالكافرين ملحق»(راجع: الإتقان: ١: ١١٢و١١٣).

*: وروىٰ أبو حرب ابن أبي الأسود، عن أبيه قال: «بعث أبوموسى الأشعري إلىٰ قرّاء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة و قرّاؤهم، فاتلوه، و لايطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، و إنا كنا نقرأسورة كنّا نشبهها في الطول و الشدّة ببراءة فأنسيتها، غير أني قد حفظت منها: لوكان لابن آدم و اديان من مال لابتغىٰ و ادياً ثالثاً و لايملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب. و كنّا نقرأ سورة كُنّا نشبهها بإحدىٰ المسبحات فأنسيتها، غير أني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون فتُكتب شهادةً في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة.»(صحيح مسلم: ٣: ١٠٠)

١-إعجاز القرآن، ٤١.

و قد صرّح بذلك كثير من الأعلام، منهم رئيس المحدّثين الصدوق محمدبن بابويه، و قد عدّ القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية، و منهم شيخ الطائفة أبوجعفر محمدبن الحسن الطوسي، و صرّح بذلك في أوّل تفسيره «التبيان»، و نقل القول بذلك أيضاً عن شيخه علم الهدىٰ السيّد المرتضىٰ، و استدلاله على ذلك بأتمّ دليل، و منهم المفسّر الشهير الطبرسي في مقدّمة تفسيره «مجمع البيان»، و منهم شيخ الفقهاء الشيخ جعفر في بحث القرآن من كتابه «كشف الغطاء» و ادّعىٰ الإجماع على ذلك، و منهم العلاّمة الجليل الشهشهاني في بحث القرآن من كتابه «العروة الوثقىٰ» و نسب القول بعدم التحريف إلى جمهور المجتهدين و منهم المحدّث الشهير المولىٰ محسن القاساني في كتابيه[1] و منهم بطل العلم المجاهد الشيخ محمدالجواد البلاغي في مقدّمة تفسيره «آلاء الرحمن»، و قد نسب جماعة القول بعدم التحريف إلى كثير من الأعاظم: منهم شيخ المشايخ المفيد، والمتبحر الجامع الشيخ البهائي، و المحقق القاضي نورالله، و أضرابهم، و ممّن يظهر منه القول بعدم التحريف: كل من كتب في الإمامة من علماء الشيعة و ذكر فيه المثالب و لم يتعرض للتحريف، فلوكان هؤلاء قائلين بالتحريف لكان ذلك أولىٰ بالذكر من إحراق المصحف و غيره!»[2]

و هناك الكثير من علماء الشيعة القائلين بعدم التحريف ممّن

١- أي: الوافي: ٥: ٢٧٤ و علم اليقين: ١٣٠.
٢- البيان في تفسير القرآن: ٢١٨ - ٢١٩.

لم يذكر هم السيّد الخوئي، مع كلّ هذا نلاحظ أنّ ناصر القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» بعد نقله لكلا القولين يزعم أنّ رأي الشيعة في قضيّة وقوع التحريف أو عدم وقوعه هو رأي ذلك النزر القليل من علمائهم القائلين بإمكان وقوع التحريف بالنقيصة! متعمّداً ترك الرأي المشهور المتسالم عليه عند جلّ علماء الشيعة و هو القول بعدم وقوع التحريف، زاعماً أنّ هذا الرأي المشهور عند جلّ علماء الشيعة محمول على التقيّة! فقال إنّ القول بعدم التحريف لعلّه تقيّة!

إنّ القفاري هذا لم يكشف عن جهله فقط في هذا الإدّعاء المضحك المبكي! بل كشف عن قلّة عقله أيضاً! ذلك لأنه تصوّر أنّ التقيّة داخلة حتّى في المباحثات العلميّة الصرفة في الحوزات العلمية الشيعيّة و في دروس بحوثها العليا!

و لو كان الأمر كذلك لأصبح من المستحيل على المتتبع أن يتعرّف علىٰ رأي الشيعة المتبنّىٰ حقيقة في قضيّة من القضايا! و لا يقول بهذا الاّ مستخفّ بعقله قبل عقول الآخرين!

هذا بيان ما في «البيان»، فمن هو الخبيث يا قفاري؟!

قال القفاري في هجومه الظالم على علماء الشيعة المعاصرين: «درج بعض شيوخهم المعاصرين على التظاهر بإنكار هذه الفرية و الدفاع عن كتاب الله سبحانه... لكنّك تلاحظ المنكر في فلتات لسانه، و ترىٰ الباطل يحاول دسّه في الخفاء هنا و هناك... و من أخبث من سلك هذا الطريق شيخهم الخوئي في تفسيره «البيان»،

فهو يقرّر: «أنّ المشهور بين علماء الشيعة و محققّيهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف» و لكنّه يقطع بصحّة جملة من روايات التحريف فيقول: «إنّ كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين، و لاأقلّ من الإطمئنان بذلك، و فيها ما روي بطريق معتبر.».»[١]

و بعد مراجعتنا لكتاب «البيان» علمنا أنّ القفاري قد حرّف كلام السيّد الخوئيﷺ عن موضعه باقتطاع هذا القسم من كلامه و تركه لبقية كلام السيّدﷺ عمداً حتىٰ يتحقّق له إظهار ما يهوىٰ من دون الحقّ، في حين أنّ السيّد الخوئيﷺ كان في معرض الردّ علىٰ القول بالتحريف، و في الإجابة عن هذه الشبهة خاصة، و هي: «أنّ الروايات المتواترة عن أهل البيتعليهم السلام قد دلّت على تحريف القرآن فلابدَّ من القول به».

و كان ردّ السيّد الخوئيﷺ: «و الجواب: أنّ هذه الروايات لادلالة فيها على وقوع التحريف في القرآن بالمعنىٰ المتنازع فيه، و توضيح ذلك: أنّ كثيراً من الروايات، و إن كانت ضعيفة السند، فإنّ جملة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمّد السيّاري الذي اتفّق علماء الرجال على فساد مذهبه، و أنّه يقول بالتناسخ، و من علي بن أحمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنّه كذّاب، و أنّه فاسد المذهب، إلاّ أنّ كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومينعليهم السلام، و لاأقلّ

١- أصول مذهب الشيعة: ٣: ١٢٦٩.

من الإطمئنان بذلك، و فيها ما روي بطريق معتبر، فلاحاجة بنا إلىٰ التكلّم في سند كلّ رواية بخصوصها».(١)

ثمّ يعرض السيّد الخوئي؛ طوائف أربع من الروايات التي يتبادر للذهن من ظاهرها وقوع التحريف في القرآن، و يجيب بصدد كلّ طائفة منها.

و من جوابه بصدد الطائفة الأولى أنّ هذه الطائفة ناظرة إلى حمل الآيات المذكورة فيها على غير معانيها، و ليس إلى التحريف بمعنىٰ الزيادة أو النقص في القرآن، و أمّا الرواية الأخيرة منها و هي: «قال أبو عبدالله عليه السلام: أصحاب العربيّة يحرّفون كلام الله عزّوجلّ عن مواضعه» فأجاب بصددها: «أنّ الظاهر من الرواية الأخيرة تفسير التحريف باختلاف القرّاء و إعمال اجتهاداتهم في القراءات، و مرجع ذلك إلى الإختلاف في كيفية القراءة مع التحفّظ على جوهر القرآن و أصله...»(٢)

أمّا الطائفة الثانية: و هي الروايات التي دلّت على أنّ بعض الآيات المنزلة من القرآن قد ذكرت فيها أسماء الائمّة عليهم السلام و هي كثيرة، فقد قال السيّد الخوئي؛ بصددها: «و الجواب عن الإستدلال بهذه الطائفة: أنّا قد أوضحنا فيما تقدّم أنّ بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن و ليس من القرآن نفسه، فلابدّ من حمل هذه

١- البيان: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

٢- راجع: البيان، ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

الروايات على أنّ ذكر أسماء الأئمّة عليهم السلام في التنزيل من هذا القبيل، وإذا لم يتمّ هذا الحمل فلابدّ من طرح هذه الروايات لمخالفتها الكتاب، والسنّة، و الأدلّة المتقدّمة على نفي التحريف، وقد دلّت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنّة، و أنّ ما خالف الكتاب منها يجب طرحه و ضربه عرض الجدار.»(١)

أمّا الطائفة الثالثة: و هي الروايات التي دلّت على وقوع التحريف في القرآن بالزيادة و النقصان، و أنّ الأمّة بعد النبي صلى الله عليه وآله غيرّت بعض

١- راجع: البيان: ٢٤٩ ـ ٢٥٠ / و قال السيّد الخوئي رحمه الله: «و ممّا يدلّ على أنّ إسم أمير المؤمنين عليه السلام لم يُذكر صريحاً في القرآن: حديث الغدير، فإنّه صريح في أنّ النبي صلى الله عليه وآله انّما نصب علياً بأمرالله، و بعد أن ورد عليه التأكيد في ذلك، و بعد أن وعده الله بالعصمة من الناس، و لوكان إسم «عليّ» مذكوراً في القرآن لم يحتج إلى ذلك النصب، و لاإلى تهيئة ذلك الإجتماع الحافل بالمسلمين، و لما خشي رسول الله صلى الله عليه وآله من إظهار ذلك، ليحتاج إلى التأكيد في أمر التبليغ. وعلى الجملة: فصحة حديث الغدير توجب الحكم بكذب هذه الروايات التي تقول: إنّ أسماء الأئمّة مذكورة في القرآن، و لاسيّما أنّ حديث الغدير كان في حجّة الوداع التي وقعت في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وآله و نزول عامّة القرآن و شيوعه بين المسلمين... و يعارض جميع هذه الروايات صحيحة أبي بصير المروية في الكافي: قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم / النساء: ٥٩»

«قال: فقال: نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام. فقلت له: إنّ الناس يقولون: فماله لم يسّم علياً و أهل بيته في كتاب الله عزّوجلّ؟ قال عليه السلام: فقولوا لهم: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة و لم يُسَمّ الله لهم ثلاثاً و لاأربعاً؛ حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هوالذي فسّر ذلك لهم....» (راجع: الكافي: ١: ٢٨٦ ـ ٢٨٨ حديث رقم ١) فتكون هذه الصحيحة حاكمة على جميع تلك الروايات، و موضّحة للمراد منها، و أنّ ذكر إسم أميرالمؤمنين عليه السلام في تلك الروايات قد كان بعنوان التفسير...»(راجع: البيان: ٢٥٠ ـ ٢٥١)

الكلمات و جعلت مكانها كلمات أخرى، فقد أجاب السيّد الخوئي بصددها قائلاً: «و الجواب عن الإستدلال بهذه الطائفة بعد الإغضاء عمّا في سندها من الضعف أنّها مخالفة للكتاب، و السنّة، و لإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن و لاحرفاً واحداً حتّىٰ من القائلين بالتحريف. و قد ادّعىٰ الإجماع جماعة كثيرون على عدم الزيادة في القرآن، و أنّ مجموع ما بين الدّفتين كلّه من القرآن، و ممّن ادّعىٰ الاجماع الشيخ المفيد، و الشيخ الطوسي، و الشيخ البهائي، و غيرهم من الأعاظم قدّس الله أسرارهم. و قد تقدّمت رواية الإحتجاج الدّالة على عدم الزيادة في القرآن.»[١]

و أمّا الطائفة الرابعة: و هي الروايات التي دلّت على التحريف في القرآن بالنقيصة فقط، فقد قال السيّد الخوئي بصددها: «و الجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة: أنّه لابدّ من حملها على ما تقدّم في معنىٰ الزيادات في مصحف أميرالمؤمنين عليه السلام[٢] و إنْ لم يمكن ذلك

١- راجع: البيان: ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

٢- قال السيّد الخوئي بصدد مصحف أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنّ وجود مصحف لأميرالمؤمنين عليه السلام يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور ممّا لاينبغي الشكّ فيه، و تسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن التكلّف لإثباته، كما أنّ اشتمال قرآنه عليه السلام علىٰ زيادات ليست في القرآن الموجود و إن كان صحيحاً إلاّ أنّه لادلالة في ذلك على أنّ هذه الزيادات كانت من القرآن و قد أسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أنّ تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل، و ما يؤول إليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمُراد... فليس كلّ ما نزل من الله وحياً يلزم أن يكون من القرآن، فالذي يُستفاد من الروايات في هذه المقام أنّ مصحف عليّ عليه السلام كان مشتملاً على زيادات تنزيلاً أو تأويلاً، ولادلالة في شيىء من هذه الروايات على أن تلك الزيادات من القرآن، و علىٰ ذلك يحمل ما ورد من ذكر أسماء ←

الحمل في جملة منها فلابدّ من طرحها لأنها مخالفة للكتاب والسنّة... علىٰ أنّ أكثر هذه الروايات بل كثيرها ضعيفة السند، وبعضها لايحتمل صدقه في نفسه، و قد صرّح جماعة من الأعلام بلزوم تأويل هذه الروايات أو لزوم طرحها... و عن المحقّق البغدادي شارح الوافية التصريح بذلك، و نقله عن المحقّق الكركي الذي صنّف في ذلك رسالة مستقلّة، و ذكر فيها: «أنّ ما دلّ من الروايات على النقصية لابدّ من تأويلها، أوطرحها، فإنّ الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب، والسنّة المتواترة، و الإجماع، ولم يمكن تأويله و لاحمله على بعض الوجوه، وجب طرحه»، أقول: أشار المحقّق الكركي بكلامه هذا إلىٰ ما أشرنا إليه ـ سابقاً ـ من أنّ الروايات المتواترة قد دلّت على أنّ الروايات إذا خالفت القرآن لابدّ من طرحها، فمن تلك الروايات: ما رواه الشيخ الصدوق محمدبن عليّ بن الحسين بسنده الصحيح عن الصادقعليه السلام: **«الوقوف عند الشبهة خير من الإقتحام في الهلكة، إنّ علىٰ كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه»**[1]«.[2]

المنافقين في مصحف أميرالمؤمنينعليه السلام، فإنّ ذكر أسمائهم لابدّ و أن يكون بعنوان التفسير.»(راجع: البيان فى تفسير القران: ٢٤٣ ـ ٢٤٠).

١- وسائل الشيعة: ١٨: ٧٨ رقم ١٠ / داراحياء التراث العربى ـ بيروت / عن أمالي الصدوق و عن محاسن البرقي / و رواه الكلينى في الكافي: ١: ٦٩ رقم ١ / دارالأضواء ـ بيروت.

٢- راجع: البيان في تفسير القرآن: ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

و في ختام بحثه يقررّ السيّد الخوئي ﷺ هذه النتيجة فيقول: «و ممّا ذكرناه: قد تبيّن للقارئ أنّ حديث تحريف القرآن حديث خرافة و خيال، لايقول به إلاّ من ضعف عقله، أو لم يتأمل في أطرافه حقّ التأمّل، أو من ألجأه اليه حبّ القول به، و الحبّ يعمي و يصمّ، و أمّا العاقل المنصف المتدبّر فلايشك في بطلانه و خرافته».[1]

هذا بيان ما في «البيان»! فمن هو الخبيث يا قفاري!؟

*** الإعتماد على كتب المتعصبين الحاقدين على مذهب أهل البيت عليهم السلام!**

لقد ادّعىٰ المؤلّف ناصر القفاري في الجزء الأوّل من كتابه بأنّ ما يورده من عقائد الإماميّة قد نقله عن كتبهم المعتبرة و رواياتهم المستفيضة، فقال في الجزء الأوّل، ص ٢٧ «و الخلاصة أنّي لم أعمد إلاّ إلىٰ كتبهم المعتمدة عندهم في النقل و الاقتباس لتصوير المذهب، و لم أذكر من عقائدهم في هذه الرسالة إلاّ ما استفاضت أخبارهم به و أقرّه شيوخهم!».

و ليته كان صادقاً في دعواه هذه!!

فقد اعترف: «أنّ هذه الطائفة بمصدرها في التلقي، و كتبها و تراثها، تمثّل نحلة كبرىٰ.»[2]

و قد ادّعىٰ أنّه حاول جهد الطاقة أن يكون موضوعيّاً، و قال: «و الموضوعية الصادقة أن تنقل من كتبهم بأمانة، و أن تختار

١- البيان في تفسير القرآن: ٢٧٨
٢- أصول مذهب الشيعة: ١: ١٠.

المصادر المعتمدة عندهم، و أن تعدل في الحكم، و أن تحرص علىٰ الروايات الموثّقة عندهم أو المستفيضة في مصادرهم ما أمكن!!»[١]

لكنّه اعتمد في تكوين فكرته عن مذهب الشيعة و تصوراته عنهم على كلمات و تشويهات المتعصبين الجاقدين على الشيعة كجارالله[٢]، و إحسان إلهي ظهير[٣] و ابن تيميّة، و غيرهم!

إنّ من يقرأ كتابه يلاحظ باديء ذي بدء: أنّه يشرع في كتابه هذا برسم تصوّرات خاطئة عن الشيعة، كان قد أخذها بلاتدبّر عن هؤلاء الحاقدين، متأثّراً بأفكارهم و تصوراتهم الفاسدة!

أفليس من المغالطة في الحقّ أن يعتمد على أفكار هؤلاء

١- أصول مذهب الشيعة: ١: ١٦.

٢- موسى جارالله: مرت بنا ترجمته من قبل في هذا المدخل فراجع.

٣- احسان إلهي ظهير بن ظهور إلهي: رجل من الباكستان من أهالي لاهور، ولد ١٣٦٠ هجرى قمرى، أكمل دراسته في «الجامعة السلفية» بفيصل آباد، و نال شهادة الماجستير من كليّة الشريعة بالجامعة الإسلاميّة في المدينة المنورّة! ثمّ حصل على عدد آخر من شهادات الماجستير كذلك! من جامعة البنجاب، أتقن الفارسيّة والعربية و شغل منصب الأمين العام لجماعة أهل الحديث في باكستان! و ترأسّ تحرير مجلة ترجمان الحديث! وله عدة مؤلفات في الفرق والعقائد منها: «القاديانيّة» و «الشيعة اوالسنّة» و «الاسماعيلية: تأريخ و عقائد».

و هو عضو بارز مؤثر في حزب «الصحابة» فى ولاية البنجاب في باكستان و يعتبر أكثر أعضاء هذه الجماعة إفراطاً و تشدّداً، و قد سعى كثيراً في خلق الفتن والتفريق بين المسلمين في باكستان، وكان من الأسباب الكبرىٰ في خلق التوتر الداخلي في باكستان، والذي قُتل بسببه آلاف من المسلمين هناك!

و أثناء ماكان ينشر سموم التفرقة بين المسلمين و يشحن بعضهم ضد بعض في احتفال لجماعته، أصيب إصابات شديدة نتيجة انفجار قنبلة في ذلك الإحتفال! و لأهميّته الخاصة عند الحكومة السعودية فقد نقل إلى المستشفى العسكري بالرياض! لكنّه توفي على أثر هذه الإصابة، سنة ١٤٠٧ هق و دفن في المدينة المنوّرة!

الحاقدين و يدّعي أنّه يدرس المذهب بأمانة و موضوعيّة صادقة و يعدل في الحكم!؟

إنّ القاريء ـ غير ذي الدراية و الإطلاع و المعرفة ـ قد تغرّه عذوبة تعابير ناصرالقفاري و قوالب الألفاظ و المصطلحات الجميلة التي استخدمها، فيتأثر كثيراً أو قليلاً بدعاواه، و يصدّق افتراءاته! مالم يراجع مصادر الشيعة و علمائهم لكي تتكشف له الحقيقة و يعلم مدىٰ الجناية التي جناها هذا القفاري على الشيعة! و يطّلع على فظاعة خيانته في النقل، و جوره في الحكم، و بعده عن الموضوعية، واعتماده على كلمات المتعصبين بدلاً من الأخذ عن المنصفين المحقّقين من علماء أهل‌السنّة، فضلاً عن آثار و كتب و مقالات علماء الشيعة و محققيهم و مجتهديهم!

لاندّعي شططاً إذا قلنا إنّه لايخلو مبحث أو موضوع إلاّ و كان القفاري فيه متأثراً بأفكار ابن تيميّة ـ الذى سوف نتعرض في الردّ التفصيليّ لدراسة شخصيته و مستواه العلمي الواقعي من خلال ترجمة دقيقة وافية، حتّىٰ يتبيّن للقارىء مدىٰ صحّة أفكار هذا الرجل أو فسادها و عقمها و انحرافها عن الصراط القويم، و ما تعرّض له ابن تيميّة من هجمات علمية من قبل علماء زمانه.

إنّ العصبيّة داء الجهلاء العضال الذي تعمىٰ به قلوبهم عن رؤية الحقّ و معرفته.

أعاذنا الله تعالى من ذلك و جميع المؤمنين.

*** عدم التفريق بين المذهب كراي و نظرية و بين عمل المنتسبين إليه!**

لاشكّ أنّ من طرق معرفة بعض آداب و تعاليم مذهب من المذاهب ملاحظة سلوك و نوع التزامات أتباع هذا المذهب المتمسكّين به، و هذه طريقة مألوفة عندالباحثين في فرع «علم الإجتماع»، و عند المحققّين في المذاهب و الأديان.

لكنّ هنا ملاحظة دقيقة لاتخفىٰ على البصير الخبير في مثل هذه الدراسات!

و هي: أنّ مطلق سلوك أتباع مذهب ما لايكون دليلاً علىٰ أنّ كلّ مايصدر منهم من تصرفات و سلوك هو من آداب المذهب و تعاليمه.

و لهذا يُبحث في علم الأصول عن سيرة المتشرّعة بما هي طريقة لإثبات السُنّة، فيقول علماء الأصول: إنّ سيرة المتشرّعة إنّما تكون من طرق إثبات السنّة فيما إذا توفرت فيها شروط الحجيّة لامطلقاً، و من تلك الشروط إحراز اتصالها بصاحب الشريعة ليُعلم اتخاذها من نفس الشريعة، و إلاّ فسيرة المتشرّعة لو لم يُحرز فيها ذلك، أو أحُرز عدمه، بأن عُلِمَ اتخاذها من السنن الوطنية أو الآداب الشعبية، فلاتكون حجّة أصلاً.

هذا النكتة الدقيقة كانت قد خفيت علىٰ الدكتور ناصر القفاري، أو كان قد تغافل عنها! و هو يدّعي التحقيق في مذهب الشيعة الإماميّة!؟

إنّ من البديهي أنّ عمل الإنسان المنسوب إلى التشيّع على الإطلاق لايكون حجّة و لادليلاً علىٰ أنّ ما عمله هذا الإنسان تجسيد لنظرية المذهب و تعاليمه، إذ ربّما خالف هذا الإنسان المنسوب إلى التشيّع مذهبه تساهلاً منه أو تهاوناً أو جهلاً!

فهل من الصحيح أن نؤاخذ مذهب الشيعة بكلّ تصرفات أتباعه، و نقول إنّ هذه التصرفات مطلقاً تجسيد عملي لما في المذهب من نظرية و تعاليم و آداب!؟

كيف يصحّ هذا و نحن نشاهد اليوم علىٰ الصعيد العام في مجتمعات المسلمين عدم إلتزام كثير من المسلمين بأداء الفرائض والواجبات و بترك المحرّمات!

هذه المفاسد قد انتشرت أيّما انتشار في عالمنا الإسلامي، هذه إذاعات الكثير من بلاد المسلمين لاتكاد تكلّ أو تملّ من بثّ الغناء الفاحش الماجن المحرّم، و هذه الإذاعات المرئيّة تتفنّن بنشر الرقص و الخلاعة و الأفلام الماجنة المخالفة لأخلاق و آداب و تشريعات الإسلام، و هذه نساء المسلمين سافرات مستهترات شبه عاريات أمام الأجانب في الشوارع و الأندية و على السواحل، و هذه الخمور تباع علانية، و غير ذلك كثير.

فهل كلّ هذا تجسيد عمليّ لنظرية الإسلام و آدابه و تعاليمه؟!!

هل هناك مجنون فضلاً عن العقلاء ـ يقول بهذا!!؟

هل يتوهمّ مسلم ـ أو غير مسلم! ـ أنّ الإسلام يسوّغ هذه المحرّمات! و يبيح ترك الصلاة التي هي أهمّ الفرائض، و ما إلى ذلك...!؟

لقد قال أحد المستشرقين عند زيارته لبلاد المسلمين: «إني رأيت المسلمين خلواً من الإسلام!» و كان منصفاً بقوله هذا!!

فمالهذا القفاري يأبىٰ أن يكون منصفاً حين خلط بين معالم المذهب و أصوله و تعاليمه و آدابه و بين عمل المنتحلين له و سلوكهم فيما خالف صريح فتاوىٰ علمائهم، و خالف صريح الروايات والآداب و التعاليم و الوصايا المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

مالهذا القفاري أصرَّ على ألاّ يكون منصفاً حين أبىٰ أن يعتبر نظرية المذهب و آدابه و تعاليمه دليلاً لتقييم المذهب و الحكم عليه، واعتبر عمل فسقة من أتباع هذا المذهب دليلاً على بطلان أصل المذهب لادليلاً على بطلان عملهم و فسقهم و مخالفتهم لرأي المذهب و نظريته!؟ فهل ثمّة ظلم أبشع من هذا الظلم!؟

◘ كلمة الختام...

لا يخفىٰ على بصير أنّ كلّ ما قدمنّاه من ملاحظات و مؤاخذات علمية على كتاب «أصول مذهب الشيعة» لناصر القفاري كاشف عن الأصل الأصيل في منهجية هذا الرجل التي اعتمدها و تعمّدها من بداية كتابه إلى نهايته، و هذا الأصل هو اعتماد أسلوب المغالطة التي يعتمدها عادة من لم يتمكّن من إقامة البرهان الصحيح و الحجّة الواضحة، و الذي يرجم بالغيب و يتناوش من مكان بعيد، فيخلط بين حقّ و باطل، و خيال و حقيقة، في مقدمات قياسية خاطئة ليستنتج ما يحبّ إثباته و إن تيقّن من عدم ثبوته! غمطاً للحقّ و الحقيقة و إحياء للباطل.

إنّ منهج المغالطة الذي اعتمده ناصر القفاري في كتابه المغرض «أصول مذهب الشيعة» دليل واضح على أنّ الغاية الأساس و الغرض الرئيس من هذا الكتاب هو تنفير المسلمين من مذهب أهل البيت عليهم السلام، هذا المذهب الذي لم تزل الأيام و الوقائع و المشكلات التي تعاني منها الأمة في عالمنا الإسلامي على الصعيد الإعتقادي و السياسي و الاقتصادي و الثقافي جميعاً تكشف عن

حقّانيّته و تؤكّد أحقيته بالإتبّاع.

لقد كان ينبغي لناصر القفاري هذا أن يكون منصفاً ـ على الأقلّ ـ إنْ لم تكن الحقيقة ضالته، فيعتبر مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية أحد المذاهب الإسلامية على حدّ سواء مع المذاهب الأربعة عند أهل السنّة كما يقررّ ذلك المنصفون من علمائهم! هذا شيخ الأزهر (محمود شلتوت) كان قد سمح لجامعة الأزهر بدراسة هذا المذهب كسائر المذاهب الأربعة، و قال بأنّ العمل على وفقه صحيح و مجزٍ و اليك نصّ كلامه:

قيل لفضيلته: إنّ بعض الناس يرىٰ أنّه يجب على المسلم لكي تقع عباداته و معاملاته على وجه صحيح أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة، و ليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية و الزيدية. فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي علىٰ إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإماميّة الإثني عشرية؟

قال:

١ـ إنّ الإسلام لا يوجب علىٰ أحدٍ من أتباعه إتبّاع مذهب معيّن، بل نقول: إنّ لكلّ مسلم الحقّ في أن يقلّد بادي ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، و المدوّنة أحكامها في كتبها الخاصة، و لمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره ـ أيّ مذهب كان ـ و لا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ـ إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإماميّة مذهب يجوز التعبّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة فينبغي للمسلمين أن

يعرفوا ذلك، و أن يتخلّصوا من العصبية بغير الحقّ لمذهب معين، فما كان دين‌الله و ما كانت شريعته بتابعة لمـذهب، أو مـقصورة عـلىٰ مذهب، فالكلّ مجتهدون مقبولون عندالله تعالىٰ، يجوز لمـن ليس أهلاً للنظر و الإجتهاد تقليدهم و العمل بـما يـقرّرونه فـي فـقههم و لافرق في ذلك بين العبادات و المعاملات.(١)

و نضيف إلى ذلك: أنّ المذاهب الأربعة: الشـافعيّة، و المـالكيّة، و الحنبلية، و الحنفيّة، ليست مشتركة فـي جـميع مسـائلها أصـولاً و فروعاً، بل فيها ما هو متفّق عليه، و بينهاما هو مختلف عليه و هو كثير، حتّىٰ في المسائل الكلاميّة.

و ممّا يؤسف له أنّ ناصرالقفاري كان يُغمض الطرف عمداً عـن مشتركات مذهب الشيعة الإماميّة مع سائر المذاهب الإسلامية في الأصول و في الفروع، و يتعمّد أن يرسم في ذهن القاريء صـورة لهذا المذهب مشوّهة و مباينة للإسـلام حـقداً مـنه عـلى مـذهب أهل‌البيت عليهم‌السلام و شيعتهم!

و من يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره، يوم لاينفع مال و لابنون إلاّ من أتىٰ الله بقلب سليم!

فأعدَّ لذلك اليوم الجواب يا قفاريّ! و لاتنفع الظالمين معذرتهم لأنّ الحاكم هو الشاهد!

و الحمد لله رب العالمين.

١: راجع: رسالة الإسلام / مجلة إسلامية عالمية تصدر عن دارالتقريب بين المذاهب الإسلاميّة بالقاهرة / السنة الحادية عشرة/العدد الثالث.

الفهرس

